

العنوان :

فلسفة القيم في ظل التطور التكنولوجي

مذكرة مكسلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:
أرفيس علي

إعداد الطالبة:
وردة سعود

السنة الجامعية: 2017/2016

إهداء

عاشق

أهدي ثمره جهد وتعب وعناء دام طويلا
إلى من حجز مكانا له في قلبي
إلى أصحاب الأنامل الذهبية "مكتبة بيروت"
الذين أخرجوا هذا العمل ليرى النور
إلى كل من لم يذكره القلم ويذكره القلب

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

قال الله عز وجل " واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون " (النحل الآية : 144)

بداية الحمد لله حمدا كثيرا وشكرا جزيل على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة ، فلو لا توفيق الله لي لما أصبح هذا العمل جاهزا ، وأصلي وأسلم على خير من علمنا نبينا محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم . أما بعد :

أتقدم بعبارات الشكر والعرفان إلى كل من لهم الفضل في إنجاح هذا العمل

إلى الأستاذ المشرف : أرفيس علي الذي أقدم له كل الشكر والتقدير على دعمه لي في هذا البحث

ولكل اساتذتي من أسرة قسم الفلسفة الذين قدموا لي يد العون وأمدوني بالعلم والمعرفة

ولكل من ساهم ولو بالكلمة الطيبة في انجاز هذه المذكرة .

جزاهم الله كل خير .





مقدمة

مقدمة:

إن الحديث عن القيم في الفكر الإنساني يعتبر من حيث العمق حديث عن الوجود في حد ذاته، فالإنسان حين يحاول البحث عن قيمة الحياة من حيث هي موجودة بالرغم عنه، فهو أيضا يسعى أن يوجد لها قيمة تضيف عليها بصمة الوجود العيني والاجتماعي فمسألة القيم دوما تتخذ منح الجدال بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون من منطق أن القيمة تجربة ذاتية تعيشه كل جماعة في نطاق مدى حضارتها، أو يعيشها الفرد ضمن حدود تجاربه الأنطولوجية، فمن ثمة يغدو السجل التاريخي حول القيم ضمن الصراع الثقافي سجلا مشروعا، لأن نقد العقل له حقوله وآلياته، بينما نقد الفعل دوما يقترب بمنظومة القيم.

والصراع الحضاري هو صراع قيم حضارية متباينة، ومن ثمة أصبحت الحضارة المنقولة هي التي يجب أن تسود فيها في كافة المجالات خاصة الاقتصادية والاجتماعية، ونحن في عصر العولمة والاحتواء الشامل لا بد من أن ندرك كون القيم السائدة تفرض علينا إنتاج قيم جديدة تمكن الفرد والجماعة من الاتجاه صوب فلسفة تحقق مصلحة الإنسان.

هاته الفكرة تبلورت مع تطور التقنية والتقدم العلمي السريع لكل من العلم والتكنولوجيا التي أصبح فيها الإنسان يمتلك قدرة جبارة على إعادة تشكيل الحياة، مما أدى إلى تدشين حقول جديد للمعرفة الإنسانية يتميز بحتمية الواقع والتنبؤ العلمي أدى إلى تطور مذهب للتقنية التي تبحث عن قضايا معقدة وذلك بالتحالف القائم بين كل هاته التطبيقات من جهة والعالم الاقتصادي والسياسي من جهة ثانية.

وقد أثبتت التطبيقات العلمية جدارتها في الميدان وقدرتها على إحداث التغير في الإنسان وأصبحت البشرية اليوم تقف فوق ذروة من المعارف العلمية التراكمية غير المسبوقة سواء في العلوم الفيزيائية أو البيولوجية، حيث بلغ فيها الواقع التقنوعلمي درجة من التعقيد والتشابك ولا تقتصر على ما نشاهده بأعيننا بل شملت جوانبها عالم المتناهيات في الصغر على مستوى الذرة والحلية.

وهذا التقدم العلمي سيجعلنا في مدة قصيرة قادرين على تغيير طبيعتنا الإنسانية بكل حرية وعليه فإن أخطر القضايا التي نتجت عن العلم هو خروج الإنسان من المادة إلى فضاء اللامادة والذي افترضته العلوم الحديثة على رأسها الداروينية التي سمحت بالإغتراب الذاتي والسقوط الأخلاقي وترتب عن ذلك عدة مشاكل أخلاقية مما استدعى تدخل النظرة القيمية التي بدأت مع كانط من خلال تأسيسه لقواعد أخلاقية مما جعل الفلسفة تعيد

النظر في العلم ونتائجه وأهدافه انطلاقاً من مدرسة فرانكفورت وهنا نقصد هابرماس الباحث في مستقبل البشرية بالإضافة إلى موقف فرانسوا داغوني.

وقد دعت فلسفة القيم إلى حفظ كرامة الإنسان المنتهكة في حدود أخلاقية تدعو إلى الحكمة والتعقل لضمان حياة آمنة وسلامة للإنسان.

وبناءً على هذه الرؤية تتحدد إشكالية بحثنا الموسوم بفلسفة القيم في ظل التطور التكنولوجي: ماهي أهم التحديات التي واجهتها فلسفة القيم في ظل التطور التكنولوجي؟، حيث يمكن معالجة هذا الاشكال ضمن اشكاليات فرعية منها :

ما علاقة العلم بفلسفة القيم ؟ و ماهي اهم المشاكل الاخلاقية للتطور التكنولوجي ؟

و ما موقف الفلسفة من هذا التطور ؟

وحتى يتسنى لنا الاجابة على هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول تحت عنوان علاقة العلم بفلسفة القيم عبر العصور وتناولنا فيه تاريخ العلم بداية من الحضارات القديمة وعلاقته بفلسفة الأخلاق وصولاً إلى الفترة المعاصرة بظهور ما يسمى بأزمة القيم.

أما الفصل الثاني المعنون بالتطورات التي خصت المجال الطبي التي كانت لها إفرازات على الحضارات الإنسانية وكما كان لها تأثير من الجانب التقنوتكنولوجي على المجال البيولوجي للإنسان مع الإستعانة بوجهة النظر الفلسفية على الجانب البيولوجي.

أما الفصل الثالث المعنون بموقف فلسفة الأخلاق من التطور التكنولوجي تطرقنا فيه إلى المرجعية الكانطية التي كانت بمثابة المرتكز الأساسي للإتيقا المعاصرة وكذا موقف الألماني هابرماس وموقف الفرنسي فرانسوا داغوني. أما الخاتمة فقد احتوت على أهم النتائج والأفكار المميزة للبحث .

ومن دواعي اختياري لهذا البحث فهي فهم طريقة تعامل الفلسفة مع منتجات العصر التقنية والتكنولوجية التي أصبحت أحد أهم مشكلات الإنسان المعاصر هذا السبب الموضوعي.

في حين أنت الأسباب الذاتية تضمنت الإلحاح على معالجة مثل هذه المسائل المصيرية التي أصبحت جزءاً من واقعنا.

وللمناقشة وللإجابة على الاشكال المطروح اعتمدت على المنهج التحليلي وذلك من خلال تحليل الأفكار مما سهل الانتقال فيها حسب تسلسلها التاريخي والمنهجي، وقد استعنت بجملة من المراجع متخصصة اهمها: كتاب الهندسة الوراثية لناهدة البقصمي، ومقال البيوتيقا والمهمة الفلسفية للعمري حربوش ومجموعة من المقالات والمجلات.

أما من جانب الصعوبات هو أنني واجهت صعوبة في عدم القدرة على التحكم في الموضوع نظرا لتشعبه ولكن استطعت بحول الله وتوفيقه ثم الناس الذين دعموني في إنجاز هذا البحث.



علاقة العلم بفلسفة القيم عبر العصور

المبحث الأول: القيم والعلم في الحضارات
القديمة.

المبحث الثاني: القيم والعلم في العصور
الوسطى

المبحث الثالث: القيم والعلم في العصر
الحديث

المبحث الرابع: القيم والعلم في الفترة
المعاصرة

تمهيد:

إن أعظم ظاهرة أساسية في تقدم حياة الإنسان هو نشوء العقيدة الدينية ذلك أن الدين هو أساس المبادئ الخلقية، تلك المبادئ التي تضبط سير الحياة نحو التقدم والرفي.

المبحث الأول: القيم والعلم في الحضارات القديمة

1- الحضارة الفارسية:

لقد كانت الديانة السائدة لدى الفرس حتى قبل القرن السادس قبل الميلاد وهي عبادة قوى الطبيعة "فكانت تأمر بعبادة العناصر الأربعة، النار (ممثلة في كوكبيها العظيمين: الشمس والقمر) والهواء والماء والتراب، وتقديس كل مظاهر الطبيعة"¹ فقوى الطبيعة لعبت دورا كبيرا في تشكل العقيدة الفارسية "وكان منرا إله الشمس من أقوى معبوداتهم وأكبرها انتشارا وكانت إلى بداره بعض الآلهة الأخرى أقل منه انتشارا وشهدت مثل "أناهيتا" آلهة الأرض والخصب وغيرها"²

وقد امتازت عقيدة الفرس بالتوازن والسمو الأخلاقي فكل سمو أخلاقي يتجلى من خلال قواعد الطهر ونشر النقاء فالمطالب الأخلاقية التي دعا إليها زرادشت تميزت بالرحمة والتسامح وهذا ما يدل على قمة الإنسانية والأخلاق الزرادشتية تميزت بالنشاط وذلك أنها أخلاق كانت تدعو للعمل ومجاهدة النفس وانتصارها على شهواتها فقد دعا زرادشت إلى ضرورة توحيد قوى الخير لمجابهة قوى الشر إرضاء لأهورمازدا "إله النور". فغاية الإنسان أن يحافظ على نفسه ونشر النقاء الذي يتم عن طريق عدة خصال أهمها العدالة، فالعدالة عند زرادشت هي "في التخلص من الخطأ عن طريق المعرفة الحقة لكل ما هو صواب والنور الذي يكشف عن هذه المعرفة الحقة لكل ما هو صواب إن هو إلا التناسق الأبدي الإلهي، فإن تعرف الحق تعرف الله، وما العالم أجمع إلا نسيج حتى ينسج طريقه متجها إلى أله الحق"³.

¹ - علي هاشم محي صلاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 03.

² - صلاح مصطفى الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 220.

³ - سعيد مراد: المدخل في تاريخ الأديان، مصر، ط1، 2000، ص130.

أما ثاني الخصال الموصول إلى الله هي التعاون "إذ أن تعاليم الزرادشوية تستدعي وجوب استغلال كل الطاقات المتاحة أمام الفرد لترتقي الحياة ويسعد بها الأفراد"¹ وهذه دعوة صريحة لوجوب خدمة الآخرين للوصول إلى محبة الله وثالث معلم يتمثل في الصدق في القول "إنه من الضروري أن تكون شريفاً ليس فقط في تفكيرك بل أيضاً في حديثك"².

فالأخلاق عند الفرس كانت نظرة ثنائية بين الخير والشر والنفس والمادة فقد برزت معالم الزرادشوية بنور جديد تدعو إلى الخير العام الذي هو أصل العالم والوجود.

وقد كان القانون في الحضارة الفارسية ينص على أن يعالج الكهنة من غير أجر وقد وضعت قوانين مشددة حول العناية بالأنثى خلال فترة حملها سواء كانت من البشر أو من الحيوانات معا في ظاهرة كل الأخلاق التي تحفظ الحياة البشرية والحيوانية كذلك، لكنها تحتوي التفرقة والتعصب المعقد فقد قضى رب النور نفسه إذ قال: "يا خالق الكون يا قدوس، إذا أراد عبد من عباد الله أن يمارس فن العلاج، فأى الناس يجب أن يجرب فيهم صدقه، أيجربه في عباد أهورا-مزدا، الإله الحكيم، اله الفرس أم في عبدة الشياطين؟ فأجاب أهورا-مزدا بقوله يجب أن يجرب في عبدة الشياطين لا في عباد الله"³ وكأن هؤلاء بمثابة فئران تجارب فإذا مات ثلاثة منهم أثناء علاج الطبيب لهم منع ممارسة الطب إلى الأبد وإن نجح في علاج هذه الفئة من البشر كان ذلك إنجازا يدل على أن الطبيب اجتاز التجربة بنجاح، ومن ثم يحق له ممارسة الطب وعلاج المرضى.⁴ ومن هذا نستنتج أن الممارسات الطبية في الحضارة الفارسية غلب عليها الطابع الديني أو العقائدي فكان الإنسان بمفهومه هو صاحب المعتقد والقوانين والأسس كان يحكمها المعتقدات وكان تغيب واضح للعقل.

(2) - الحضارة المصرية:

ظهرت الأخلاق في الحضارة المصرية في شكل عقائد دينية تدعو إلى السلوك السوي وللعدالة والاستقامة فالوازع الخلقي في الحضارة المصرية القديمة نشأ من الإيمان بالبعث وبحياة أخرى تلي ظاهرة الموت، فالنفس ترجع

¹ - العمري حروبش: مقال بعنوان: من البيوتيقا Bioéthique إلى البيوسياسية Biopolitique، ضمن كتاب جماعي: البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية)، منشورات ضفاف، لبنان، 2014، ص 152.

² - سعيد مراد: المدخل في تاريخ الأديان، المرجع السابق، ص 131.

³ - المرجع نفسه، ص 132.

⁴ - المرجع نفسه، ص 133.

إلى الجسد ويحيا حياة ثانية، وعلى حسب أفعال الإنسان في الحياة الأولى يحاسب في حياته الثانية "فلا يظلم نفسه ولا يظلم غيره، ولا يرتكب إثما، متبرئة من الآثام والشرور وهو أساس الخلود والنجاة من عقاب الآلهة الأخرى"¹ وقد رسم بتاح حوتب* صورة الإنسان الحكيم الذي يتميز بالحكمة وضبط النفس ودعا إلى حسن المعاملة والحق والعدل، فالصفات الحسنة هي التي تؤدي بالإنسان إلى الخلود، وذلك من خلال قوله "تخلق بالأخلاق الحسنة أعمل على نشر العدالة، وبذلك تضمن لذريتك الحياة من بعدك"² ولقد ساهمت هذه الأفكار الأخلاقية بتأسيس علم الأخلاق بالمعنى النظري المعروف خاصة في الحضارة اليونانية "ويتضح ذلك ما كتبه أفلاطون في محاوره " القوانين في الحوار الذي يدور بين كليناس واثنيناوس"... عندما أخبرك أنهم يبدو ومنذ زمن بعيد قد تعرفوا على نفس المبادئ التي تتحدث عنها اليوم والتي نقض بوجوب تعويد شعبهم منذ الصغر على المثل ممارسة الفضيلة"³.

وسلوكات الإنسان التي بحث على عمل الخير ونبت الشر لم تخلو من أفكار أخلاقية نابعة من أفكار الخير والشر والفضائل كالشجاعة والصبر والرحمة.

وفي ختام حديثنا عن الأخلاق في الحضارة المصرية نذكر ابن خلدون، الذي يقول "أن التاريخ يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، والأشياء في سيرتهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى يتم الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا"⁴.

فالأخلاق في الحضارة المصرية تبدأ من حياة الأسرة محركا لها الوازع الديني لترتقي بذلك إلى الغاية الأخيرة وهي حياة الخلود وزعم سموها أي الأخلاق المصرية إلا أنها لم تتخلص من قبضة الدين والخوف من الآلهة و الطقوس السحرية السائدة آنذاك وهذا ما يعني تغييب العقل في تأسيس الأخلاق المصرية.

¹ - مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قيا للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1998، ص 27.
* بتاح حوتب: مفكر أخلاقي عاش في حوالي 2700 ق. م، اكتشف لهذا المفكر ثلاثة وأربعين لوحة ترجمت وأطلق عليها المؤرخون -مخطوط الحكمة-.

² - مصطفى النشار: المرجع السابق، ص 29.

³ - مجدي الكيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون (دراسة مصرية)، الإسكندرية، 2009، ص 422.

⁴ - علي هاشم محي صلاح: المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 23.

(3) - الحضارة اليونانية:

تعد الحضارة اليونانية من أهم الحضارات التي أولت اهتماما بالغاً بالتفكير "لأن اهتمام الفلاسفة اليونانيين بالبحث في الطبيعة وفي المبادئ التي يمكن من خلالها فهم وتفسير الظواهر الطبيعية، جعل منهم علماء وفلاسفة في نفس الوقت، ولعل هذا ما يبرر قول بعضهم بأن أصل الكون هو الماء، لأن كل شيء يتحول في النهاية إلى تراب، وقول آخرين بالهواء أو النار كأصل الكون، وهي كلها محاولات رد شتات الظواهر الطبيعية إلى المبدأ الواحد وفي النهاية يبدو أن الأمر استقر على اعتبار العناصر الأربعة (الماء والتراب والهواء والنار) كلها مكونات لجميع الأجسام على الأرض بما في ذلك جسم الإنسان"¹.

إن المعرفة العلمية للطب عند اليونان، لم تمنعهم من وضع قواعد أخلاقية تعمل على توجيه ومراقبة الطبيب، سواء في حملة أو في علاقته مع المريض، وهو مضمون كتب واجبات الأطباء ومنها كتب الواجبات المهنية ككتاب القسم، كتاب القانون، كتاب اللبابة، كتاب النصائح، والفصل الأول من كتاب الطبيب، وأحسن مثال يمكن أن يقدم في هذا الشأن هو ما يعرف بقسم ابوقراط وهو أقدم النصوص وأهمها، الخاصة بواجبات الأطباء وهو بمثابة ميثاق أو يمين كان الطلاب المتدربون يحلفونها قبل أن يقبلوا كأعضاء في النقابة أو جمعية الأطباء الكويسين².

وهذا القسم يدل على الضابط الأخلاقي الذي يوجه الممارسة الطبية وقد طورت التكنولوجيا في العصر اليوناني القديم في بعض الميادين إلا أنها ظلت منفصلة عن العلم، فالعلم اليوناني كان يعني أن العلم جهد نظري يستهدف إرضاء حب الاستطلاع لدى العقل الإنساني ولا يتجه إلى تحقيق أية أغراض عملية.

¹ - محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص ص 257 - 258.

² - العمري حروبش: مقال بعنوان: من البوتيقا Biothique إلى البيوسياسية Biopolitique، ضمن كتاب جماعي: البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية) المرجع السابق، ص 154.

المبحث الثاني: القيم والعلم في العصور الوسطى

إننا في بداية حديثنا عن العصور الوسطى لا بد لنا أن نفرق بين العصور الوسطى في أوروبا وفي العالم الإسلامي، فقد كان هناك تفاوت هائل في مستوى العلم بين هذين العالمين فقد وصل العلم الإسلامي إلى قمته في حين كان العلم الأوروبي في الحضيض فكلمة العصور الوسطى لدى الأوروبيون ارتبط معناها بالتخلف والتعصب والركود الفكري على عكس في العالم الإسلامي.

1- عند المسلمين:

هناك عوامل كثيرة جعلت من العلم ينشأ في العالم العربي الإسلامي من شروط ثقافية مواتية وسماحة للدين الإسلامي فلقد اقتص العلماء العرب المسلمين، العلوم القديمة في مناخ إسلامي وفي أوضاع جديدة وهذا على العكس مما كان يعتقد بأن معارف المسلمين في مجال العلوم بشكل عام والمجال الطبي بشكل خاص وما هي إلا ترديد للتراث الطبي الإغريقي أو ما عرف عند أساطين الطب أمثال ايقراط، ديموقريطوس، جالينوس، وغيرهم، بل في الحقيقة كانت للمسلمين معارفهم وإنجازاتهم.¹

والطب من المهن النبيلة التي تتطلب الحكمة، وصناعة لا يختص بها أي كان، على الرغم من أنها كانت من العلوم التي يشجع على تعلمها لما لها من قيمة.

ولم تكن التقانة (التكنولوجيا) أقل شأنًا، وليس أدل على تجلي روح التقانة العلمية في الحضارة العربية من أن ابن سينا أوضح أن علم الهندسة تفرع عنه علم المساحة وعلم الحيل المتحركة وعلم جر الأثقال وعلم الأوزان والموازين وعلم الآلات الجزئية وعلم المناظر والمرايا وعلم نقل المياه، كما أشار برتراند راسل، أن العلم العربي أكثر انكبابا على البحوث التجريبية ولم يعن كثيرا بصياغة النظريات العلمية العامة أو البحتة أي أن العلماء العرب كانوا تجريبيين أكثر مما ينبغي، وفي سياق البحوث التجريبية تواترت الإنجازات المعروفة للعلم العربي لا سيما في الطب والجراحة والصيدلة والنبات.²

¹ - العمري حربوش: مقال بعنوان: من البوتيقا Biothique إلى البيوسياسية Biopolitique ، ضمن كتاب جماعي: البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية)، المرجع السابق، ص ص 156-157.

² - يعني طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصورها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 43.

يقول توبي هف: "وشد ما هو ذو دلالة خطيرة فعلا، أن علماء العرب هم الذين مهدوا الطريق المفضي إلى الثورة العلمية في أوروبا، لقد عمل العرب على تطوير ومناقشة جوانب عدة للمنهج التجريبي وتخطيط كيفية التسلح بها ليس هذا فحسب، بل طوروا أيضا الأدوات الضرورية للوصول إلى أرقى مستويات الفلك الرياضي"¹ وهذا ما يعني أن بداية حركة العلم الحديث كانت بفضل يعود إلى تاريخ العلوم عند العرب.

2- عند المسيحيين:

تمثلت هذه المرحلة في الفترة الممتدة بين القرن الثالث ميلادي حتى القرن الرابع عشر، حيث لم يكن للعلم أي تأثير أو تقدم ولم يظهر حتى تغيير يذكر في مفهوم العلم. فالسيادة كانت للكنيسة ورجالها في التحكم حتى في الجانب العلمي والمعرفي وكان الرهبان في الأديرة، وأحيانا في بلاط الأمراء، يعرفون الطب كما يعرفون اللاهوت، والرياضيات، والنبات أو العمارة، وكمستغلين لهذا العلم لصالحهم، اهتموا بالسياسة والإدارة قدر اهتمامهم بالتعليم الديني،² فسيادة الكنيسة كانت هي التي تتحكم في التفكير العلمي.

فتلك المرحلة تعكس النظرة الشاملة للكون فالإنسان مرتبط بالأبراج الفلكية ويتمثل كل طرف من أطراف الإنسان وكل عضو من أعضائه في أحد الكواكب، ويختلف تأثير هذا وذلك من الكواكب حسب تاريخ ميلاد الشخص وهو ما انطلق منه علم التنجيم الذي ينظم العلاج، وبناءا عليه فليس من المدهش أن نجد الأطباء على دراية واسعة بعلم الفلك، أما اليوم فتبدو لنا هذه المعرفة المعقدة غامضة وملتبسة فمن الباطنية إلى التنجيم، إلى السحر والشعوذة المرصودة والمدانة بحكم القانون الجنائي، فعند أي بادرة شك في عدم الخضوع للعقيدة يقع الطبيب في قفص الاتهام.³

¹ - يعني طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 44.

² - جان شارل سورنيا: تاريخ الطب، تر: ابراهيم البجلاني، عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص ص 38-39.

³ - المرجع نفسه، ص 111.

لقد كانت الكنيسة يد الله في الأرض فهي كانت تعمل على مراقبة العلم والعلماء وحولت كل ما هو علمي إلى هدف ديني فهي ترفض كل ما يتعارض وتعاليمها وترحب بكل ما يلاءم هذه العقيدة ولا ينحرف عنها على هذا الركود وتأخر مستوى العلم.

وقد استخدم الصيادلة إفرازات العديد من الحيوانات وظلت هذه الصيدلة البرازية سارية المفعول حتى القرن الثامن عشر، وكانت هذه المواد التي تعود إلى أصل حيواني تتركب معا بطرق متعددة وكان لكل صيدلي طريقته الخاصة في تحضير الترياق الخاص به والذي يكتن سره على الآخرين ويؤكد انه دواء لكل الأمراض.

ولقد كان التحالف بين العلم القديم وبين تعاليم الكنيسة مؤديا إلى تكوين صورة للعالم كله تتمتج فيها تصورات القدماء مع تفسيرات رجال اللاهوت وكان أول ما يحرص عليه هؤلاء الأخيرين هو إدخال العناصر الدينية (كما كانوا يفهمونها) في فكرة الناس عن العالم.¹

¹ - فؤاد زكريا: التفكير العلمي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2012، ص 118.

المبحث الثالث: القيم والعلم في العصر الحديث

إن الكلام عن القيم في عصر الحداثة في أوروبا، هو الكلام عن محاولات الخروج عن سيطرة الكنيسة وعدم إتباع تعاليمها وهذا الصدام كلف الفلاسفة والعلماء حياتهم في أغلب الأحيان، وقد كان جسم الإنسان من أهم ما تطرق إليه العلم في العصر الحديث، حيث أعطاه ديكارت صبغة ميكانيكية بحيث يفصله تماما عن الروح أو الجوهر والجسم البشري -حسب ديكارت- لا يقدم حتى تعريفا بل تعود ماهية الإنسان إلى الروح أو الجوهر.

وكانت أهم العوامل المؤدية إلى دعم النظرية الآلية إلى العلم، إمكاناتها التطبيقية الهائلة التي بلغت قمة نجاحها بظهور الآلة البخارية وبداية عصر جديد من عصور الإنتاج البشري.

وفي القرن الثامن عشر كان فلاسفة عصر التنوير الفرنسيون من أقوى دعاة هذا الفهم الجديد للعلم ومن هنا كانت حملتهم على كل أشكال التفكير الغيبي والميتافيزيقي ودعوتهم إلى فهم كل الظواهر بنفس المنهج الذي ثبت نجاحه في العلم وظل هذا الاتجاه مستمرا طوال الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر وكان الناطق باسمه هو الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت Auguste Comte".¹

1- المنهج التجريبي:

يعد ديكارت ذا أهمية خاصة، إذ يعتبر بمنزلة علامة فارقة بين العصور الوسطى والعصر الحديث، من حيث هو مؤسس الفلسفة الحديثة، بيد أنه كان يبحث عن وضوح الرياضيات وبغيتها، لذا اعتمد منهجه على الاستنباط الرياضي وليس على التجريب في محاولة لتأسيس المبادئ العامة للمعرفة بأسرها، وإذا استثنينا ديكارت لكان أهم فلاسفة المنهج في القرن السابع عشر -قرن المناهج- بلا منازع فرنسيس بيكون الذي يقترن اسمه بالمنهج التجريبي والعلم التجريبي وحركة العلم الحديث بأسرها.²

فقد اقترن اسم بيكون بحركة العلم الحديث، لأن دعواه المنهجية كانت أقوى تجريد وتأسيس لعصر العلم الحديث، أقوى تجسيد للحداثة للانقلاب على الماضي رفضا له والقطيعة مع العصور الوسطى المدرسية.³ فالمنهج التجريبي أقوى تجليات الحداثة من حيث هو تمثيل لشريعة العلم الحديث، فقد توالى فقرات "الأورجانون الجديد" لفرانسيس بيكون لتفصيل هذا المنهج.

¹ - د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي، المرجع السابق، ص 145.

² - يعني طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 50.

³ - المرجع نفسه، ص 60.

إن العقل عند بيكون أداة مماثلة وتجريد وتصنيف لمعطيات الحواس وفي تجسيده لخطورة الأوهام المترتبة بالعقل يطلق عليها اسم الأوثان أو الأصنام، فهي تتحكم في العقل تحكما رهيبا وتحجبه عنه جادة الصواب فتكون بمنزلة أصنام يعبدها... كأوهام يتشبث بها وقد كرس لها بيكون أكثر من ثلاثين فقرة في الكتاب الأول في الأورنانون الجديد وهو يقسمها إلى أربعة أنماط على النحو التالي:

- **أوهام الجنس أو القبيلة:** وهي الأخطاء المترتبة بالعقل البشري، ومن أمثلتها سرعة التعميمات والقفز إلى الأحكام الكلية فلا ينبغي الشرع في التعميم دون التثبت الكافي كي لا تقع في أحكام خاطئة وأيضا سيطرة فكرة معينة على الذهن تجعلنا نختار من الأمثلة والوقائع ما يؤيدها وتغض البصر عما ينفيها، فلا بد من توفي النزاهة العلمية في التعامل مع الوقائع كي ندرأ هذه النوعية من الأخطاء.¹

- **أوهام الكهف:** تتمثل في التأثير الكبير لعوامل البيئة ومكوناتها وثقافتها في عقل الإنسان، فيصور المتواضعات الخاصة بما وكأنها حقائق مطلقة وقد يقصر جهوده المعرفية على إثباتها ولو تأملنا في مشكلة التشويه الإيديولوجي للعلوم بعامة والعلوم الإنسانية بصفة خاصة واعتبرناها من كبريات مشاكل فلسفة العلوم الإنسانية، ولوجدنا أن التشويه الإيديولوجي هو ذاته ما أسماه بيكون في الأرغانون الجديد بأوهام الكهف.

- **أوهام المسرح:** وهي الأوهام والأخطاء الناتجة عن تأثير المفكرين القدامى في عقل الإنسان، فيصبح هذا العقل وكأنه خشبة المسرح يعرض عليها المفكرون السابقون رؤاهم المتضاربة والمنفصلة عن الواقع الراهن.² فالمسرحيات التي تقدم على المسرح وتمثل تخلق عوالم وهمية ومسرحية وقد حذر بيكون من أوهام التي سيطرت على جماعات من عالمنا العربي في القرن العشرين على سبيل المثال، فشككت جماعات إرهابية.

- **أوهام السوق:** وهي الناجمة عن الخلط اللغوي وسوء استخدام اللغة، وقد اعتبرها بيكون أبرز ما ينبغي تجنبه، فأوهام السوق تجعل الإنسان يتصور وكأنه هو الذي يملك زمام اللغة ويتحكم فيها ويستعملها كما يشاء في حين أن اللغة قد تمارس تأثيرها في العقل الإنساني دون أن يعي هذا.³ لقد وضع بيكون شروط

¹ - معنى طريف الحولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 65.

² - المرجع نفسه: ص 66.

³ - المرجع نفسه: 67.

تطور العلم والمجتمع وكبداية وجب التخلص من أصنام العقل كما يسميها يكون حيث وجب ترك مجمل المعتقدات الزائفة، كما يجب أن يتخلص الفرد من العيوب الناتجة عن طبيعته الشخصية، والتوقف عن إصدار الأحكام الاعباطية التي تنبع من ذاتية فردية ناجمة من تقوقع الفرد حول أفكاره ومن الأسباب التي تقف في وجه الحقيقة العلمية هي النزعة الدوغماتية (الوثوقية) والتي وجب تجاوزها.

2-الجسد البشري:

اهتمت فلسفة الحداثة بمراجعة ما انتهت إليه الفلسفة اليونانية من رؤى حول الكون والعالم والإنسان ذلك أن التعريفات التي قدمتها الفلسفة اليونانية لم تعد مواكبة لمكتشفات الحداثة ولحمل التصورات المستجدة، أو لم قدمته النهضة العلمية من حقائق جديدة، وبالتالي فإن المراجعة الجذرية لدلالة الكون والإنسان ومنها مقولة الجسد، مثلت خطوة ضرورية أعلن عنها رواد الحداثة، أدت بدورها إلى ميلاد أفكار جديدة ولعل التعريف الحديث للجسد يتضمن أن يكون الإنسان متطوعاً عن الآخرين ومقطوعاً عن ذاته فالجسم هو ما تبقى من هذه الانسحابات الثلاثة.

ولم تتخل الديكارتية عن فكرة ثنائية النفس والجسد، غير أنها تجاوزت تعريف الإنسان كحيوان عاقل مبنية حدوده ونقائصه، ونزلت الإنسان منزلة الذات المفكرة، وشبهت جسده بالساعة أو بآلة في يد النفس.¹ وانطلق ديكارت بالبحث في خصائص الإنسان بإعلان الشك وانتهى إلى الإقرار بأن الإنسان جوهر مفكر، ذلك بقوله "إنني شيء يفكر، أو شيء له في ذاته ملكة التفكير"² ذلك أن التفكير هو ما تقوم به الذات بمعزل عن عالم المحسوسات، ويخلص ديكارت إلى أن الروح والجسم هي حقا جواهر متباينة متميزة بعضها عن بعض، ومن هنا نستخلص أن ديكارت نظر إلى جسم الإنسان من زاوية ميكانيكية وبما أنه يخضع للقوانين يمكننا التحكم فيه، أي أنه آلة مركبة من عظام وأعصاب وعضلات وشرابين ودم وجلد.

إن الثنائية الديكارتية هي امتداد للثنائية القيسالية، ففي كليهما يتجلى الاهتمام بالجسد المنزاح عن الشخص الذي أعاره وجوده ووجهه، فالجسد يرى كتابع للشخص وينزلق في سجل الملكية ولم يعد غير قابل

¹ - دافيد لوبرتون: انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1997، ص 45.

² - ديكارت: تأملات ميتافيزيقية، تر: كمال يوسف الحاج، سراش للنشر، 2009، ص 32.

للانفصال عن الحضور البشري، لقد انقطعت وحدة الشخص، وهذا الانقطاع لعين الجسد كحقيقة طارئة، غير جدية بالفكر إن إنسان ديكارت هو لاصق تتجاوز فيه روح لا تستمد معناها إلا من تفكير وجسد أو بالأحرى آلة جسدية يمكن اختزالها لمداها فقط.¹

وبالتالي يكون جسم الإنسان على طاولة التشريح منبع الاكتشافات وفك ألغاز هذا الجسد فطالما لعب فتح الأجساد البشرية دورا هاما في ديناميكية الحضارة، ذلك أن تشريح جسم الإنسان يعتبر تقدما هائلا في الطب خاصة والإنسانية عموما، إلا أنه وجد تمييز ضمني في المعرفة الغربية بين الإنسان وجسده، فقد أصبح الجسد مخزونا بالملكية ولم يعد مقرونا بالكينونة.

¹ - ديكارت: تأملات ميتافيزيقية، المرجع السابق، ص 149.

المبحث الرابع: القيم والعلم في الفترة المعاصرة

1- العلم والتكنولوجيا:

نستطيع أن نعرف التكنولوجيا بأنها الأدوات أو الوسائل التي تستخدم لأغراض عملية تطبيقية والتي يستعين بها الإنسان في عمله لإكمال قواه وقدراته وتلبية تلك الحاجات التي تظهر في إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلته التاريخية الخاصة.¹

وكل ما توصل إليه الإنسان من كشوف واقتراحات تكنولوجية في العصور القديمة قد تحقق بمعزل عن العلم، وكما ذكرنا سابقاً أن سيكون كان يرى أنه من الضروري إعطاء التقدم التكنولوجي دفعة قوية إلى الأمام عن طريق ربطه بالبحث العلمي،² مما يعني أن سيكون دعا إلى فترة انتقالية يتحقق فيها التلاحم الوثيق بين العلم والتكنولوجيا.

وفي عصر الثورة الصناعية أخذ الجمع بين العلم والتكنولوجيا يزداد قوة بالتدريج بعد أن ظهرت فائدته العلمية بوضوح قاطع: إذ أن التطور الذي كان يستغرق مئات السنين على أيدي صناع مهرة أصبح يستغرق سنوات قليلة عندما يتدخل فيه العلم.³

ومن المؤكد أن الفترة الزمنية التي يتم فيها الانتقال من الأساس النظري لكشف معين إلى ظهور الاختراع الفعلي يتوقف على الحاجة الاجتماعية إلى هذا الاختراع، مثال: فمشروع إنتاج القنبلة الذرية كان مشروعاً حيويًا خلال فترة حرب قاسية بل كان مسألة حياة أو موت، وكان يمثل سباقاً رهيباً مع الزمن حتى لا يظهر هذا السلاح الفتاك عند النازيين فيصبح أداة لتحقيق أحلام ديكتاتور مجنون مثل هتلر.⁴

وقد أصبحت الشقة تضيق تدريجياً بين العلم النظري والتكنولوجيا التطبيقية كلما اقتربنا من العصر الحاضر، بل المشكلة قد أصبحت في بعض الأحيان هي مشكلة التسرع في التطبيق التكنولوجي قبل القيام بأبحاث علمية كافية.

¹ - بمى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 113.

² - فؤاد زكريا: التفكير العلمي، المرجع السابق، ص 136.

³ - المرجع نفسه، ص 137.

⁴ - بمى طريف الخولي: المرجع السابق، ص 137.

وقد ذاعت في العلم في السنوات الأخيرة فضيحة العقاقير الطبية التي أنتجت على نطاق تجاري قبل أن تمر مدة كافية لإجراء التجارب والبحوث التي تكشف عن أضرارها في المدى الطويل وكان من نتيجة هذا التسرع في الإنتاج ولادة مئات الأطفال المشوهين، أو عدد كبير من التوائم الغير مرغوب فيهم.¹

إن نجاح (مشروع مانهاتان)* كان معناه دخول الإنسانية عصرا جديدا هو ما أصبح يعرف بعد ذلك باسم العصر الذري، وصحيح أن الإنسانية قد أعلنت عن دخولها هذا العصر بطريقة تدعو إلى الأسى من خلال دوي يصم الآذان وكرة هائلة من النار تصهر حرارتها الحديد، والمهم في الأمر أن العلم الإنساني وصل بهذا الانفجار إلى نقطة تحول حاسمة في تاريخه، وأن إحدى قمم المعرفة البشرية قد بلغت من خلال الحضيض الذي ترددت إليه الإنسانية في أبشع وأسرع حادثة قتل جماعي في التاريخ.²

2- العلم والأخلاق :

في العصور السابقة كان هناك حد فاصل بين السعي إلى المعرفة والسلوك العلمي، أو بين الفهم النظري للظواهر وإرضاء الإنسان لملكة حب الاستطلاع عنده من جهة، وبين القواعد الأخلاقية التي يتفاهم الناس ويتلاقون على أساسها من جهة أخرى فالعلم كان طوال جزء كبير من تاريخه نشاطا نظريا صرفا، وكان عندئذ ألا يقترب من مجال الأخلاق بل أن يكون هناك اختلاف جوهري بين الاستخدام النظري للعقل، في المعرفة واستخدامه العملي في الأخلاق، أما في عصرنا الحاضر فقد أصبح التداخل وثيقا بين المجالين، بحيث أصبح العلم يتدخل في تفكيرنا في مشاكلنا الأخلاقية كما أصبحت الأخلاق تسعى إلى توجيه العلم، أو على الأقل تستهدف اختبار بطريقته نقدية.³

وفي عصرنا الحاضر ازداد هذا التداخل وثوقا، ذلك لأن التغلغل المتزايد للتطبيقات العلمية والتكنولوجية في حياتنا، جعل العلم يتصل اتصالا مباشرا بمشكلات حيوية، بل مصيرية، مثل مشكلة البقاء أو الفناء، ومشكلة التلوث والتزايد السكاني، والأزمات الغذائية، وكلها أمور تقع على الحدود التي تربط بين العلم والتكنولوجيا من

¹ - معنى طريف الخولي: المرجع السابق، ص 140.

* - مشروع مانهاتان: هو مشروع قدمت فيه الولايات المتحدة للعلماء كل المساعدات ووسائل البحث التي يحتاجون إليها لإجراء أول تجربة ذرية في التاريخ.

² - معنى طريف الخولي: المرجع السابق، ص 150.

³ - فؤاد زكريا: المرجع السابق، ص ص 181 - 183.

جهة والأخلاق من جهة أخرى، وهكذا تطورت الأمور بحيث أصبحنا لا نجد مفرا من البحث في النتائج الأخلاقية للعلم.

وأصبح العلم في عصرنا الحاضر قوة تؤثر في حياتنا ومسلكتنا العلمي، لا مجرد إرضاء لحب الاستطلاع وزال الحد الفاصل بين وظيفة العلم في إلقاء الضوء على ما هو كاشف، ووظيفة الأخلاق في إرشادنا إلى ما ينبغي أن يكون.

إن التقدم العلمي المعاصر يسير في طريق تفجير النظم الاجتماعية التي يعيش الإنسان في ظلها حتى اليوم، فمشكلة الغذاء والسكان لا تحل إلا على نطاق عالمي لم يتوافر الإطار اللازم له حتى الآن، ومشكلة البيئة سوف تخرج من أيدينا إن لم نواجهها بإجراءات تتجاوز نطاق أية دولة على حدة.

ومشكلة الموارد الطبيعية تقتضي منا نوعا من التفكير في الحاضر والمستقبل يخرج عن إطار (الأنانية) و(المصلحة) و(حب الاستهلاك) التي تسود المجتمعات البشرية الحالية ومشكلة الوراثة والتحكم في الإنسان.¹

خلاصة:

لقد عرفت علاقة العلم بالأخلاق في حقبة مختلفة من الزمن حتى تتكون في صورتها الاجمالية الراهنة حيث حاولت أن تأطر الممارسات الطبية الحاصلة على مستوى الجسد البشري وفي الفترة التي عرف العقل فيها بولائه لتعاليم الكنيسة وعدم تدخله في شؤونها والخروج عن سيطرتها كانت الأخلاق الطبية فيها حسب ما ترغبه الكنيسة، أما العلم فقد انهكت قواه في العصور الوسطى الأوروبية، في حين كان يعرف ازدهارا كبيرا في نفس الفترة عند المسلمين كونهم استندوا الى منظومة دينية تحثهم على الدأب في طريق العلم والمعرفة، فكانت الأخلاق المرافقة لمنهج العلوم البيولوجية مساندة ومتفقة مع الدين الاسلامي .

الا أن التأويلات المقدمة للجسد البشري في العصر الحديث وما لحق هذا الأخير من تطور في مناهج العلوم، أهمها المنهج التجريبي لـ "بيكون" الذي ساهم في تطور كبير في عصر النهضة .

¹ - بنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 202.



المشاكل الأخلاقية للتطور التكنولوجي

المبحث الأول: الثورة البيولوجية

المبحث الثاني: الهندسة الوراثية

المبحث الثالث: الإجهاض

المبحث الرابع: القتل الرحيم

المبحث الخامس: زراعة الأعضاء

تمهيد :

عرفت البيولوجيا تطوراً كبيراً في العديد من المجالات التي كانت في مجملها تهدف إلى تحسين حياة الإنسان الصحية ، إلا أنها عرفت العديد من التجاوزات في بحوثها و تقنياتها ، على المستوى الأخلاقي ، إذ يمكن ارجاع مجمل المشاكل البيوطبية الى عامل رئيس و هو المساس بالكرامة الإنسانية

الكرامة : " في اللغة هي العزاة ، نقول :له على كرامة و عزاة ، و فعلت كذا كرامة له "

وللكرامة اصطلاح القدماء معنى خاص وهو اطلاقها على ظهور امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى

النبوة و التحدي يظهره الله على ايدي اوليائه

أما في اصطلاح المحدثين فهي اتصاف الانسان بما يليق به من الفضائل التي تجعله اهلاً للاحترام في عين

نفسه وعين غيره ، نقول : فلان يحافظ على كرامته

ويطلق اصطلاح الكرامة الإنسانية على قيمة الإنسان من جهة ، ما هو ذو طبيعة عاقلة . لذلك قال

باسكال : تقوم كرامة الانسان على الفكر .

ومبدأ الكرامة الإنسانية أحد المبادئ التي بنا عليها إيمانويل كانط Emmanuel Kant مذهبه

الأخلاقي .ذلك لأن غاية الإرادة الإنسانية احترام الموجود العاقل ، أي احترام الإنسان من حيث هو إنسان

وهذا يوجب العمل بالقاعدة التالية ، وهي : اذا اردت ان تعمل فلتكن قاعدة عملك اتخاذ الإنسانية في

شخصك و في اشخاص الآخرين غاية لا واسطة .و معنى ذلك ان للموجود العاقل كرامة ذاتية توجب أن يعد

غاية في ذاته لا وسيلة ، وكرامته من حيث هو إنسان مقدمة على كل شيء، فإذا سخر عقله لأهوائه ، أو

سخر غيره من الناس لمصالحه و منافعه ، خالف مبدأ الكرامة الإنسانية¹.

وفي هذا الفصل سنشير إلى التجاوزات الأخلاقية التي تنتهك الكرامة الإنسانية و تغيب على الإنسان

إنسانيته ، هذا وإن تعددت اوجه المساس بالكرامة الإنسانية ، كالمساس بدينه ، بعرضه ، وحياته. فالأبحاث

البيولوجية تحمل في تطبيقاتها ما لا أثر لها في نظرياتها في اغلب الاحيان

¹-جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982، ص 227.

المبحث الأول: الثورة البيولوجية:

لقد ميز المشرعون الإنسان عن جسده، وفسخوا الجثث وانكبوا على المثال الجميل للآلة البشرية التي لها هوية مختلفة فالجسد البشري ليس إلا ذلك الظاهر الخارجي للكائن، والتجارب التي تقام على الجسد البشري تطرح السؤال الأساسي: ما قيمة الجسد؟ فإذا كان الجسد حاويا للروح عد مادة للتجربة واستعمل للبحث العلمي، ولكن الجسد البشري يمثل جزء من ماهية الكائن البشري ذو الكرامة والذي لا يمكننا أن نفعل به ما نشاء لذلك وجب على التطبيق التجريبي أن يكون محاطا بالاتيقا الطبية.¹

إن الجسد البشري بعد أن كان مطمورا ومهمشا وموضوع يستحي التحدث فيه، خرج ليرى النور ويحتك بالتكنولوجيات الطبية مثله مثل الأشياء يخضع بأعضائه لمفهوم العرض والطلب مما يستوجب العودة للبحث عن الذات وعن إنسانية الإنسان، عن كرامته وحرمة وحرية إرادته ليعلم عن اختياره دون أن نفرض عليه التجارب المخبرية العلمية، لذلك تكون الدعوة ملحة للعودة إلى الأخلاق والاتيقا هي الضامن الوحيد للجسم،² فمنذ النصف الثاني من القرن العشرين تصدرت علوم الحياة - الطب والبيولوجيا - طليعة العلوم التجريبية ولفت إليها اهتماما واسعا وعريضا سواء من طرف مراكز البحث المتخصصة أو حتى الرأي العام، ويعود هذا الاهتمام الواسع إلى الآمال المعقودة والمتنظرة من الانعكاسات الايجابية المباشرة لنتائج تلك العلوم وأبحاثها على الصحة العمومية وصحة الأفراد على وجه الخصوص.

ولقد كان الاهتمام بالعلوم الحياتية يزداد تقدما واتساعا، وبالأخص حين تطورت الأدوات التقنية والطرائق المخبرية للتجريب على الكائن الحي وهي نفسها الأدوات المستعارة من العلوم التجريبية الفيزيائية والكيميائية.

إن الثورة البيولوجية التي ستكون محور القرن الواحد والعشرين تهدف في عداد أهدافها إذن للكشف عن بواطن الإنسان، وإلى وصف الصراع الأبدي للإنسان عندما يحاول التعبير عن ذاته فمع الكشف المطرد الزدياد عن التركيب الدقيق للتعقيد المنظم الذي يكون للإنسان سوف يصبح للعلم التفكير البيولوجي فائدة متزايدة

¹ - سمية بيدوح: فلسفة الجسد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2009، ص 28.

² - المرجع نفسه، ص ص 09، 10.

للعلماء الذين يفكرون في الإنسان وكذلك للفلاسفة وغيرهم ممن يهتمون بالإنسان وهو لا يزال في عملية الكشف عن بواطنه عن طريق التفكير الفلسفية التأملية لتناول المسائل الخاصة بالمجال الإنساني.¹

ونظرا للتطورات التكنولوجية العلمية أصبح الإنسان اليوم بفضل التقنية سيادة وملكا للطبيعة ولكن ديكرات عندما ذكر لم يتصور أن السيادة والسيطرة سيأتي يوم ما وتنقلب على الإنسان، " فعندما نصل إلى هذه النقطة يعني الإنسان موضوع التحكم والسيطرة يصبح من الصعب تحديد من يتحكم في من ومن ربح على حساب من؟".²

إن التعرف على العالم الدقيق للكائن الحي كان يتطلب مجهودات فيزيائية بمثابة التقنية المساعدة في كشف هذا العالم واستخدام الكيماويات في تثبيت الخلية على حالتها وهي حية، وكذلك استعمال مختلف أنواع الأصباغ لإبراز التباين بين المكونات المختلفة للخلية.³ أي أن التقنية قدمت خدمة كبيرة لمعرفة المجال البيولوجي الدقيق مثل الميكروسكوبات التي سهلت في فحص الخلايا إلى درجة كبيرة.

1-مراحل الثورة البيولوجية:

أولا: المرحلة الأولى في الثورة البيولوجية:

مرحلة علم الحياة الجزئية وهو علم يحاول فهم آليات الحياة على مستوى الجزئيات المفاعل بينها، وقد تولدت البيولوجيا الجزئية من أبحاث علماء الوظيفة (الفيزيولوجيين) الذين درسوا التراكيب الحيوية في الكائن الحي العضوي كله إلى أصغر خلية فيه، ومن أبحاث الفيزيائيين والكيميائيين الذين انتقلوا من الجزيء إلى التراكيب الصغيرة في الخلية ومن أبحاث علماء الوراثة الذين اكتشفوا الجينات، حيث أتاح لنا التفسير الجزيئي،

¹ - سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص 21.

² - Roperto ondomo: La biothique et la dignité de la personne, éd,pu,f, 1997, paris, p 09.

³ - إرنست ماير: هذا هو علم البيولوجيا، تر: عفيفي محمود عفيفي، عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص 102.

ولأول مرة في تاريخ علم الحياة، لآليات الحياة الأساسية معرفة القانون الكيميائي الضروري لانتقال وترجمة المعلومات الجينية.¹

ثانيا: المرحلة الثانية في الثورة البيولوجية:

هي مرحلة علم الحياة الخلوية، وهي لا تقتصر على دراسة العلاقات داخل الخلايا نفسها، بل تشتمل أيضا وبصفة أساسية دراسة العلاقات بين الخلايا بعضها ببعض وذلك أن الخلايا تشكل مجتمعا داخل الأنسجة إذ يتصل بعضها ببعض عن طريق تبادل الإشارات التي تعرفها مستقبلات الموضوع على سطوح الخلايا، ولا شك أن فهم هذه الأحاديث أو المحاكاة التي تدور بين الخلايا والاتصالات الخلوية الطويلة المدى، والآليات المنظمة لوظائف الجهاز العصبي والهرموني، وجهاز المناعة، وتؤدي البيولوجيا الخلوية كما نرى إلى اكتشاف هامة أخرى، وهي نقل الجزيئات واستقبالها.²

ثالثا: المرحلة الثالثة في الثورة البيولوجية:

وهي علم الغدد الصم العصبية، البحث هنا لا يقتصر على الاتصالات داخل الخلايا وبينها، بل يتعدى ذلك إلى اتصالات الأعضاء بعضها مع بعض وتنظيم وتكامل النظام الكلي للإشارات المتبادلة بين الخلايا عن طريق الجزيئات التي تقوم بوظيفة المنظمات السبرانية نسبة لعلم السبرنيتيل و بوظيفة " الهيبوتالاموس " والنخامة التي تقوم بوظيفة " قائد الاوركسترا " ولذلك فإن التنظيم السبراني للكائن العضوي يشكل الموضوع العام الناجم عن أبحاث علم الغدد الصم العصبية.³

¹ - سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، المرجع السابق، ص 23.

² - المرجع نفسه: ص 24.

³ - المرجع نفسه: ص ص 25 - 26 - 27.

رابعا: المرحلة الرابعة في الثورة البيولوجية:

هي ثورة الهندسة الوراثية أو ما يسمى تكنولوجيا DNA أي تكنولوجيا الريبي النووي المنقوص الأوكسجين وتعتبر هذه المرحلة أحدث مراحل الثورة البيولوجية ولكن أكثرها إثارة للخلاف بين العلماء وهذه التكنولوجيا الحيوية الجديدة تتيح لنا إعادة برمجة التفاعلات الجزيئية والخلوية المكتشفة خلال المراحل السابقة من الثورة البيولوجية، ويستطيع العلم من خلال الهندسة الوراثية أن يؤثر في الحياة تأثيرا مباشرا كما يؤثر في الوراثة وأنواع الكائنات.¹

2-الوراثة:

هي علم التوارث والتصنيف وهو أحد الفروع الأساسية لعلوم الحياة، وجميع الكائنات الحية ما هي إلا نتيجة كل من الطبيعة والتنشئة حيث تمد البيئة " التنشئة " الظروف التي تتفاعل مع جينات الكائن لتعطي صفاته التشريحية والكيمائية الحيوية والفسبيولوجية والسلوكية المميزة، ونظرا للتأثير الواضح للوراثة في كل مجالات الحياة فقد أصبحت موضوعا ضروريا في علم البيولوجيا.²

3-البيوتيقا:

لم يكن لمصطلح البيوتيقا (Bioéthique) Bioéthique وجود قبل الثورة البيولوجية والتطورات التي شهدتها هذه الأخيرة، والتقنيات الطبية الجديدة التي أصبحت في كثير من الأحيان تهدد بشكل مباشر أو غير مباشر للكيان الإنساني، وكل ما يحيط به لما توفرت هذه الشروط لم يؤخر المفكرون حتى المتفائلون منهم في بناء إيتيقا العلم.

¹ - سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان ، المرجع السابق، ص 27.

² - وليم ستانسفيلد: الوراثة، ترجمة علي زين العابدين عبد السلام وفتحي عبد الثواب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993، ص 5.

والبيوتيقا مصطلح مركب من الحياة أي "بيو" و "الإيطيقا" ظهر في الستينات ويعتبر العالم الأمريكي البيولوجي المتخصص في السرطان أول من إستعمل هذه الكلمة وذلك في مقال البيوتيقا علم البقاء على قيد لي طرح بذلك مصطلح البيوتيقا بحث جديد وتفكير مستحدث تم التعريف عنه من قبل متخصصين "من الدراسة المتعددة اختصاصات لمجموعة الشروط التي يفرضها التسير المسؤول للحياة البشرية(أول للشخص البشري في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعارف والتقنيات البيوطبية)¹.

¹ - رجاء بن سلامة وآخرون: سلطة التقنية وتفاقر القيم ضمن كتاب البيوتيقا، دار البتراء للنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص7.

المبحث الثاني: الهندسة الوراثية:

اختلفت تعريفات الهندسة الوراثية، باختلاف وجهات النظر ويمكن إظهار التعريف التالي: هي عملية التدخل والتعديل الذي يحصل للمكونات الوراثية أو المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية أو الموروثة للكائن الحي والتي تعرف بالجينات الموجودة في الحامض النووي الرايبوزي (DNA) وقد دخلت هذه التقنية في تحسين صفات أو إزالة خصائص "غير مرغوبة أو لإنتاج تلك الجديدة المرغوبة".¹

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الهندسة الوراثية قائمة على المادة الوراثية المتضمنة للحمض النووي DNA باعتباره الأساس الذي من منطلقه تقوم تقنية الهندسة الوراثية بالقطع واللصق والاستنساخ.

وكانت أول تجربة عام 1973 على يد بول بورغ Paul berg و Herbert Boyer بجامعة كاليفورنيا بإنتاج الأنسولين، وذلك بنقل جين الأنسولين إلى بكتيريا E-coli، التي اكتسبت في هذه الحالة جينا بشريا وعاملته كواحد من جيناتها الخاصة، وفتحت هذه التجربة المجال أمام تطلعات عديدة، سواء في النباتات أو الحيوانات.²

1- الاستنساخ وأنواعه:

قبل مرورنا إلى تعريف الاستنساخ رأيت أنه من الضروري أن استهل هذا المبحث بإرهاص يتناول موضوع التكاثر بنوعيه لأن الاستنساخ لا يكاد يفصل عن هذا الأخير من حيث نمو النطفة.

أ/ أنواع التكاثر:

- التكاثر اللاجنسي.

- التكاثر الجنسي.

¹ - نبالي مليكة: البيولوجية الجزئية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 2009، ص 249.

² - المرجع نفسه، ص 250.

-التكاثر اللاجنسي: فهو خاص بالكائنات وحيدة الخلية كالأميبية والطحالب الزرقاء والبكتيريا، كما يحدث أيضا في الكائنات متعددة الخلايا كالتى تحمل الواحدة منها الجهازين الذكري والأنثوي في آن واحد وتسمى هذه الأخيرة ب Hermaphrodite كالديدان الشريطية.

تتكاثر هذه الكائنات بطرق متعددة أهمها:

ومن بين الأسباب التي تستدعي تدخل الطبيب في عملية الإخصاب ما يلي:

- 1- كون الحيوانات المنوية غير نشيطة
- 2- قلة عدد الحيوانات المنوية عند الرجل
- 3- صعوبة انتقال الحيوانات المنوية داخل الجهاز التناسلي للزوجة
- 4- زيادة شدة الحموضة المهبلية مما يسبب في موت الحيوانات المنوية
- 5- انسداد القنوات الرحمية عند الزوجة انسدادا كاملا.
- 6- ضعف الرجل جنسيا
- 7- مرض السكري المزمن عند الرجل.¹
- الإنشقاق الثنائي: انقسام خلية الأم إلى قسمين لتكوين خليتين شبيهتين بالخلية الأم.
- التبرعم: وهو بروز من أحد الأجزاء الكائن الحي إلى الخارج يلي ذلك نمو هذا الجزء البارز حتى يتم تكوين كائن جديد شبيه الأب.²
- التجديد: وهو قدرة الكائن الحي على تعويض ما يفقده من أجزاء جسمه بتكوين أجزاء جديدة مطابقة للأجزاء المفقودة.³
- التكاثر الجنسي: هو ذلك النوع من التكاثر الذي يتم عن طريق اتخاذ خلايا جنسية ذكورية مع خلايا جنسية - أو البيضة الملقحة Zygote مؤنثة تعرف بالأمشاج، مؤدية بذلك إلى تكوين الزيجوت

¹ - ناهدة البقصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص 36.

² - رياض أحمد عودة: الاستنساخ في ميزان الإسلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 19.

³ - المرجع نفسه، ص 20.

وهذا يشترك فيه الحيوان والإنسان والنبات على حد سواء (حيوان منوي) عند الإنسان تقابله حبة لقاح "غبار (أنثويا) بويضة في كل من الحيوان والنبات Gamète الطلع" في النباتات. وتنتج الأم جاميطا

وهذا فيما يخص التكاثر الطبيعي بشقيه: الجنسي واللا جنسي، أما عندما يتعذر حدوث التكاثر لأسباب بيولوجية، فيلجأ الإنسان إلى تقنية "التكاثر الصناعي" حيث يتدخل الطبيب، لإتمام عملية الإخصاب سواء أكان ذلك داخل الرحم invivio أم خارجها invitro أو ما يسمى بأطفال الأنابيب عن طريق الإنجاب المدعم طبيًا Procréation médicalement Assistée والعملية تقوم على اللجوء إلى أنبوب اختبار لإتمام عملية الإخصاب خارج الرحم، وعندما تبلغ الخلية الملقحة مرحلة النطفة تعاد إلى رحم الزوجة صاحبة البويضة.

ب- تعريف الاستنساخ:

لغة: من نسخ: نسخ الشيء: أزاله أبطله.¹

والنسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه كما في قوله تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها".²

تناسخت الأزمنة: تتابعت.³

كما تفيد هذه الكلمة أيضا معنى النقل كأن نقول: أنتسخ الكتاب: نقله واستنسخ الشيء: بمعنى نسخه أي طلب منه نسخة.⁴

¹ - المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، بيروت، ط 1، 2005، ص 805.

² - سورة البقرة، الآية 106.

³ - المنجد في اللغة والإعلام، المرجع السابق، ص 805.

⁴ - المرجع نفسه: ص 806.

وعند حديثنا عن الاستنساخ لا بد لنا من التمييز بين نوعين شائعين منه:

-الاستنساخ الجنسي التوالدي Reproductif:

قبل الحديث عن هذا النوع من الاستنساخ لا بأس لنا أن نذكر التكاثر الطبيعي يقوم على اتحاد خلية جنسية ذكورية (حيوان منوي) مع خلية جنسية أنثوية (بويضة) فيتم الإخصاب ثم تتطور الخلية الموحدة إلى نطفة إلى مضغة إلى أن تصبح جنينا ثم إلى كائن.

كما أن الخلية الجنسية سواء كانت ذكورية أم أنثوية على خلاف الخلية الجسدية Somatique تحتوي فقط على ثلاثة وعشرون كروموزوما (صبغيا) وليس ستة وأربعين كما في الخلية الجسدية، لهذا يأتي المولد الجديد بهذه الطريقة الطبيعية، محملا بصفات وراثية نصف منها يرثه من الأب والنصف الآخر يرثه من الأم هذا في حال حديثنا عن التكاثر الطبيعي لكن عند حديثنا عن الاستنساخ أمر آخر.

ففي استنساخ الجنين، يلجأ العلماء إلى فصل خلية من الكتلة الجنينية قبل تخصص الخلايا الموجودة فيه لتشكيل الأجهزة المختلفة في الجسم: البصر، العظام، اللحم، الشعر، الجلد...الخ.¹

ثم يتم إغلاق غشاء الخلية الذي فتحناه عند فصلنا للخلية المذكورة وذلك بالاستعانة بمادة هلامية ليصبح عندنا خليتان معروفتان كل واحدة تحتوي على نفس المكونات الأخرى.²

تدفع هاتان الخليتان في رحم أو رحمين ليخرج المولودان متشابهين من الناحية الوراثية والشكلية وهذا ما يعرف بالتوأأم.

-الاستنساخ العلاجي Thérapeutique:

فهو يقوم على نفس المبدأ من حيث نقل نواة جسدية في بويضة متروعة النواة ليس للحصول على إنسان تام يشبه المانح للخلية في 90 % من صفاته الوراثية وإنما لأغراض علاجية، ويتم هذا بتقنيات في غاية الدقة،

¹ - سمية بيدوح: فلسفة الجسد، المرجع السابق، ص 59.

² - محمد الصالح المحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، الدار العربية للعلوم، (د.ت)، (د.م)، ص 184.

فإذا أصيب صاحب الخلية في جهاز البنكرياس مثلاً تنتزع بعض الخلايا المريضة منه ثم يتم تحويلها وإزالة العطب فيها ثم في الأخير تعاد إلى البنكرياس المريض للتخلص من الأماكن التالفة وتحديد العضو.¹

هذا وقد حدد العلماء أنواعاً من الخلايا التي لها علاقة بالخلايا الجذعية أو على الأقل امتداداً لها، نستطيع في هذا المضمون اعتبار الخلية المخصصة كخلية جذعية كاملة القدرات Totipotente قادرة على إعطاء جنين كامل.²

ومن هنا يمكن القول بأن الهدف الأساسي من الاستنساخ العلاجي هو التخلص من مشاكل رفض جسم المريض للعضو المزروع.

وتدخل العلماء في فصل الخلية يكون مدروساً وخاضعاً لجدول زمني صارم، فصل الخلية من الكتلة الجنينية إلا إذا تأكدوا بأن الكتلة لم تتجاوز الانقسام الرابع أي لم يتعد مجموع الخلايا ثمانية، لأن بعض هذه المرحلة يبدأ بالتخصص.

2- سليات الهندسة الوراثية على المستوى الأخلاقي:

إن الهندسة الوراثية والاستنساخ الجبري وما يتبعهما من تقنيات حيوية ظهرت مع عنوان الأبحاث البيولوجية، سوف تسمح بالتجريب على الإنسان مثله مثل الحيوان، دون أن يكون هناك مجال للحديث عن قدسيته التي جادل طويلاً للحفاظ عليها.

فقد كان الإنسان من وجهة نظر الدين أقدس المخلوقات، لكن يبدو أن الثورة البيولوجية ستلاعب بهذه القدسية.

كما عرضت القيم الأخلاقية للإنسان إلى طرح شديد من جراء تقدم العلم في الميدان البيولوجي، وبمجرد حدوث الثورة تعالت الأصوات ليس بين العلماء فقط بل حتى الفلاسفة ورجال الدين ليتبين الأثر البالغ لهذه الثورة على الجوانب المتعددة للإنسان، وتأني الأخلاق في المقام الأول موضوعاً فلسفياً وعلمياً أثار الجدل والتساؤلات العديدة.

¹ - محمد الصالح الحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، المرجع السابق، ص 185.

² - خالد الزعيري: الخلية الجذعية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص 42.

هناك الكثير من التوقعات في ما يتعلق بنتائج الاستنساخ من حيث المستقبل نجد منها:

- احتمال ظهور أعراض وأمراض جديدة
- اختلال التوازن السكاني بسبب استغناء عن أحد الجنينين
- مخالفة التعاليم والشرائع السماوية
- يمكن أن يشكل الاستنساخ نوعا من التلوث البيئي والاجتماعي.

ثم إن الاستنساخ ليس خلقا وبعثا من العدم بل إنه ينطلق من الخلية " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ¹ ". ويتطلب الرحم الحي، حيث ينتظر الجنين أن ينفخ الله فيه من روحه. ²

وبالتالي فإن تقنية الهندسة الوراثية و الاستنساخ البشري حققت ثورة حقيقية ، قلبت المفاهيم وحاولت التدخل في الكائن الحي باقتحامها خصوصيته و حققت ما حققته من نتائج زادت من رعب الانسان وخوفه مما جعل كل من الفلسفة و القانون يقفان موقفا موحدا للنظر في هذه التطبيقات التي تحاول القضاء على حرمة الكائن الحي وقديسيته واحداث امراض له عوض حل مشاكله ، فالكائن الحي له من التعقيد والتشابك ، ما يجعل حكمنا محدود، وعليه فإن البيولوجيا مازالت متعلقة بالمستوى الميتافيزيقي مادامت بعض مظاهرها الأساسية هي الخلية، التي لم يجد لها المختصون جوابا كافيا وبقي تفسيرهم لها مبهما ، أما عن الوسائل والآلات المستعملة في البيولوجيا فيعتبرها النقص والقصور لان الذي اخترعها انسان قاصر .

¹ - سورة النمل، الآية 88.

² - سفيان عمران: مقال بعنوان: صورة الإنسان في الثورة البيولوجية المعاصرة، ضمن كتاب جماعي، البوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، منشورات ضفاف ، لبنان ، 2014، ص 59.

المبحث الثالث: الإجهاض:

إن الوضع الأخلاقي للإجهاض ليس موضوعاً جديداً في تاريخ الطب ومع ذلك فإنه فيما يبدو وسيظل من أهم الموضوعات في عصرنا الحالي، خاصة بعد ظهور التكنولوجيا الطبية الحديثة التي استطاعت أن تكشف عيوب الجنين الصحية كما استطاعت أن تكشف جنسه ولا تزال هذه المشكلة في كثير من الدول ومنها إنجلترا والولايات المتحدة تشغل المفكرين حتى وقتنا الراهن، بل أثارت معها مشكلات قانونية إلى جانب مشكلات الأخلاق، ولا يزال التساؤل قائماً حتى الآن: هل يسمح بالإجهاض من الناحية القانونية وبغض النظر عما تقوله الأخلاق؟

أما في دول مثل أمريكا اللاتينية فالمسألة أكثر مرونة بينما نجد أن العالم الإسلامي والعربي يرفض الإجهاض لأسباب دينية خالصة ويعتبره نوعاً من القتل اللهم إلا في حالات ضيقة جداً مثل تشويه الجنين، أو لأن الحمل يشكل خطورة على الأم.¹

1- تعريف الجنين ومراحل تكونه داخل رحم الأم:

- أ- تعريفه لغة: الجنين هو فعل جنّ: استثر، والجنين هو الولد مادام في الرحم، فكلمة الجنين تعد وصفاً للولد المستتر في الرحم، أي أنه مستتر أو المستور في رحم أمه.²
- ب- تعريفه اصطلاحاً: يطلق مصطلح الجنين على ما في الرحم، من بدء التكوين بحدوث التلقيح والاستقرار فيه إلى غاية خروجه من بطن أمه.³

¹ - محمد أحمد الرواشدة: عقوبة الاعتداء على الجنين بالإجهاض، دراسة فقهية موازنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد الأول، 2007، ص 428.

² - أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العصرية، ط 3، 1997، ص 62.

³ - محمد عبد الوهاب الخولي: المسؤولية الجنائية للأطباء عن استخدام الأساليب المستحدثة في الطب والجراحة، دراسة مقارنة، ط 1، 1997، ص 106.

ج- مراحل تكون الجنين في بطن أمه:

يمر الجنين وهو في بطن أمه بمراحل متعددة، ورد ذكرها صراحة في قوله تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ " ¹.

وفي قوله تعالى: " يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن

تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ

فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى " ².

وهذه المراحل نفسها هي التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم " إن أحذككم يجمع خلقه في بطن أمه

أربعين يوما، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغه مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات

ويقال : اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح".

1- النطفة: وهي الخليط بين الحيوان المنوي وبويضة المرأة، وهي ما تسمى البيضة الملقحة بتطوراتها العديدة

والتي لا تزال تأخذ شكل قطرة الماء بالرغم من تضاعف خلاياها أضعافا مضاعفة ضم تعلق بسماكة بطانة

الرحم لينتهي هذا الدور ويبدأ دور العلقه.

2- العلقه: في هذه المرحلة يكون الجنين على شكل العلقه، وتكون عالقته في جدار الرحم، والمدة الزمنية

لهذا الطور تكون من بداية الأسبوع الثاني حتى نهاية الأسبوع الثالث من التلقيح، وفي هذه المرحلة يبدأ القلب

¹ - سورة المؤمنون، الآية 12-19.

² - سورة الحج، الآية 50.

في خفقانه¹. وتبقى العلقة في هذا الطور مدة أسبوعين لتبدأ بعد ذلك أي منذ اليوم الثالث والعشرين أو الرابع والعشرين مرحلة المضغة.

3- **المضغة:** في هذا الطور تظهر الكتل البدنية على هيئة أثر الإنسان، وذلك في أواخر الشهر الأول، وداخل المضغة تبدأ الأجهزة الداخلية مثل القلب والرئتين بالظهور، ويشكل الجهاز العصبي والحويصلان السمعي البصري، وتظهر مولدات الغضروف والعضلات والوحدات الجهاز البولي التناسلي، حتى يصل الجنين عمرا الأربعين يوما، حيث تظهر جميع الأجهزة الداخلية، وهنا تمر المضغة بطورين: أولهما المضغة غير المخلقة حيث تتصور الأعضاء دون أن تظهر، أي تتميز مجموعات خلوية مختلفة، وتتخلق معطية الأجهزة والأعضاء وتلك هي المضغة المخلقة.

وينتهي هذا الطور قبيل نهاية الأسبوع السادس، حيث يبدأ الطور التالي في التخليق.

وخلال هذا الشهر الأول يزداد وزن الجنين مليون مرة.

4- **طور العظام واللحم:** وفي هذا الطور تبدأ الكتل البدنية في تكوين العظام وهو تكوين العظام في داخل تلك المضغة، وذلك ابتداء تكوين الهيكل الإنساني من عظم ولحم، وينتهي كساء اللحم في الأسبوع الثامن، فاللحم كالكسوة للعظام، وبهذا ينتهي مرحلة ما يسمى الجنين وتبدأ مرحلة الحمل.

5- **النشأة الأخرى:** وهي آخر طور من الأطوار التي يمر بها الجنين وتبدأ بعد تكون اللحم على العظم ففي الشهر السادس يصبح الإنسان أي الجنين قادرا على الاستقلال عن أمه، لأن الأسناخ الرئوية تكونت فيكون بعد ذلك دور الحضانة فقط.²

2- الإجهاض وأنواعه

أ- **تعريف الإجهاض:** مصطلح الإجهاض ليس لفظا غريبا في اللغة، فإن أهل اللغة بينوا معناه الذي عرف عند العرب في قولهم: أجهضت الناقة: إذا ألقت الولد لغير تمام، أو إسقاطه ناقص الخلق.

¹ - فريدة زوزو: الإجهاض، (دراسة فقهية مقاصدية)، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، 2002، ص 08.

² - المرجع نفسه، ص 09.

ومنه إجهاض الجنين الآدمي ومعناه: إنزال الجنين قبل أن تكتمل مدة الحمل، إما بفعل أمه أو بفعل غيرها كالطبيب.

ويعرف الإجهاض Abortion من الوجهة الطبية بأنه سقط من داخل الرحم قبل أن يصبح قادراً على الحياة بذاته أي قبل الأسبوع 22 أو بلوغه وزن 500 غ أكثر.

وعرفها الطبيب محمد علي البار بأنه " خروج محتويات الحمل قبل 28 أسبوعاً وتحسب من آخر بيضة خاضتها المرأة".¹

ب- أنواع الإجهاض:

لقد قسم الإجهاض عموماً إلى ثلاثة أصناف وهي العفوي والعلاجي والاجتماعي (الجنائي) وهذا التقسيم بحسب دوافعه ومبرراته التي يلجأ إليها الناس:

1- **الإجهاض العفوي (التلقائي -الذاتي):** وهو الذي يحصل بغير إرادة المرأة حيث يعمل الرحم على طرد الجنين الذي لا يمكن أن تكتمل له عناصر الحياة وقد يحدث بسبب خلل في جهاز المرأة التناسلي، أو بسبب خطأ ارتكبته كحمل شيء ثقيل، أو توتر نفسي، أي أنه إجهاض طبيعي حدث تلقائياً بدون أي تدخل خارجي بأي صورة من صور ومسبباته داخلية محضة تتعلق بأمراض تصيب الأم الحامل أو الجنين.²

2- **الإجهاض الاجتماعي:** وهو الذي يتعمد فيه إنهاء الحمل بطريقة غير شرعية والذي يجريه أشخاص غير متخصصين عن طريق شرب دواء معين، أو إدخال أدوات صلبة في المهبل، لهدف كالتستر على الفاحشة (الزنا، أو زنا المحارم، أو اغتصاب) ومن هنا سمي إجهاضاً اجتماعياً على اعتبار أن الإجهاض الجنين المتكون من زنا أو اغتصاب أو زنا المحارم يعد حلاً لمعضلة اجتماعية حساسة وقد يجري ذلك في عيادات طبية بإشراف أطباء متخصصين، تحت ذريعة إنقاذ فتيات قصر أو نساء من حمل غير مرغوب فيه، مقابل مبالغ مالية خيالية.

¹ - مجمع اللغة العربية: معجم البايولوجيا (في علم الأحياء والزراعة)، ج2، الهيئة العامة لشؤون المطابع، الأمير، د ت، ص 09.

² - ناهدة البقصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، الكويت، 1993، ص ص 10-11.

3- الإجهاض العلاجي: وهذا النوع من الإجهاض الذي يستدعي اللجوء إليه ضرورة طبية فهو الذي يقوم به الطبيب الموثوق في دينه وعلمه، أو يأمر به إنقاذ حياة الأم عندما تتعرض للخطر بسبب الحمل، وقد قسم الأطباء الإجهاض لأقسام كثيرة وذلك راجع إلى مرحلة الحمل:

أ- الإجهاض المهدد أو المنذر: ومعناه حدوث نزيف في الرحم خلال مدة الحمل والذات في بدايته (20 الأسبوع الأول) حيث يكون الجنين حياً، إلا أن خطراً كبيراً يتهدهد بفعل النزيف فيكون قابلاً للسقوط.

ب- الإجهاض الحتمي: ومعناه موت الجنين، وخروجه بفعل انقباض الرحم.

ج- الإجهاض المفقود: والمقصود به موت الجنين، وبقائه داخل الرحم.

د- الإجهاض المعتاد: وهو الذي يحدث لوجود تشوهات بالرحم، أو عنق الرحم فاقد القدرة على بقاءه مغلقاً.

هـ- الإجهاض العفن: وهو الناتج بعد حدوث التهابات في الرحم.

والأمر المهم في هذا هو الكيفية التي يتم بها، من أجل معرفة يجوز أو لا يجوز.¹

3- الحكم العام للإجهاض:

يتردد حكم الإجهاض عند الفقهاء بين التحريم المطلق وبين الإباحة حتى مرحلة نفخ الروح، آخذين بعين الاعتبار مسألتين: بدء التخلق، ونفخ الروح.

وباستثناء الضرورة العلاجية ألا يعد الإجهاض ذريعة لهدم مقاصد الشريعة الخمس ألا وهي كلية النسل، وهذه الكلية ذات الصلة الوثقى بالحفاظ على الجنس البشري وبقاء نوعه بالتناسل والتكاثر، وهو أمر لا مناص

¹ - ناهدة البقصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق، ص 13.

منه لاستمرار النوع البشري وبقاء الإنسان وذريته، وقيامه بالوظيفة المنوطة بهم في تحقيق الاستخلاف، فلا ينقطع لهم النسل ولا ينقرض لهم نوع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وينقطع التكليف.¹

كما نجد آراء تؤيد الإجهاض منها رأي فرنسوا دجواني Fracois Dgouni الذي نجده مؤيدا هو الآخر للإجهاض، ليس الإجهاض السهل والمريح، ما يهم هو مدى استقبال المولود، إذا لم يقبل الوالدان بالمولود فإن هذا الأخير سيكون تعيسا، فالولادة لم تعد قدرا ولكن القانون هو من يتولى ضبط تاريخ الموت وأيضا التاريخ الذي يأتي فيه مولود جديد ومن خلال تأييد فرانسوا داجواني للإجهاض نجد أنه يضع نصب عينيه على مستقبل الطفل والحالة التي سيؤول إليها بعد ولادته خاصة إن لم يجد الجو الأسري الذي يرحب به.

إن هناك توجسا حيال كرامة هذه الحياة في صيغتها البيولوجية بغض النظر عن طابع الحياة الذي تمارسه والوسط الذي تعيش فيه، فقد يراها البعض حياة تتمتع بكرامة إنسانية تحددها الأخلاق الصرفة وهناك من يرى أن هذه الحياة تنظم نفسها بنفسها " تبعا لهذا التصور، كل ما يمكن تحديده بيولوجيا وصف بوصفه نموذجا إنسانيا يجب النظر عليه بوصفه شخصا بالقوة، وهو صاحب حقوق أساسية".²

فليس كل ما لا تحميه مادة دستورية يمكننا فتح المجال لحريتنا ومن ثم المساس بحرمته فالكرامة الإنسانية هي الرادع الأخلاقي الذي يحمي حياة الجنين.

¹ - فريدة زوزو: الإجهاض (دراسة فقهية مقاصدية)، المرجع السابق، ص 19.

² - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية (نحو نسالة ليبرالية)، تر: جورج كاتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 2006، ص 40.

المبحث الرابع: القتل الرحيم:

1- مفهومه: هو تيسير الموت لمريض استعصى علاجه واشتدت آلامه وقربت نهايته، بحيث يكون بناءً على رغبة ملحة منه إلى طبيبه المعالج أو إقرار مسبق مكتوب يؤكد هذه الرغبة.

وتعريف مصطلح القتل الرحيم (أو القتل بدافع الرحمة) فقد درجت اللغات الأجنبية على تسمية هذا النوع من القتل (الاوثنانازيا) Euthanasia وهي في اللغة الفرنسية مكونة من مقطعين الأول Eu وتعني الطبيب والثاني Thanasia من Thanatos وتعني الموت وعناه يستحيل شفاؤه أو قتل بدافع الرحمة أو المرحمة أو القتل بدافع الشفقة أو القتل الرحيم.¹

2- لمحة تاريخية عن نشأة القتل الرحيم:

ينسب مصطلح القتل الرحيم إلى الفيلسوف الإنجليزي روجيه بيكون، الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي والذي كان يقول " على الأطباء أن يعملوا على إعادة الصحة إلى المرضى وتخفيف آلامهم، ولكن إذا وجدوا أن شفاؤهم لا أمل فيه فيجب عليهم أن يهينوا موتاً هادئاً وسهلاً، وإن الأطباء لا يزالون يعذبون مرضتهم، رغم إقناعهم بأنهم لا يرجى شفاؤهم وفي رأيي أن عليهم فقط في هذه الأحوال أن يطفئوا بأيديهم الآلام والنزع الأخير".² ولهذا الكلام أقوال وأصول سابقة له، فنجد أن العرب قبل الإسلام كانوا يقومون بؤاد بناهم لأسباب مختلفة كال فقر وخشية العار وغيرها.

ولم يكن هذا نابع عن كراهيتهم لبناتهم ولكن خوفهم من إطعامهن أو خشية العار كان باعثاً ودافعاً لذلك، وقد جاء القرآن الكريم ناهياً عن ذلك قال تعالى " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ^ط أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^ط وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِ^ط نَحْنُ

¹ -هدى قشقوش: القتل بدافع الرحمة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 2، ص 15.

² - يورغن هابرماس: المرجع السابق، ص 40.

نَزَرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾¹.

وفي قوله تعالى " يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾² ".³

كما أن لكلام روجيه سيكون أصولاً في الفلسفات اليونانية القديمة فأفلاطون يقول في كتابه الجمهورية الكتاب الثالث والذي قرر فيه " إن على كل مواطن في دولة متقدمة واجبا يجب أن يقوم به، لأنه لا يحق لأحد أن يقضي حياته بين الأمراض والأدوية ويجب وضع قانون مؤداه وجوب تقديم العناية إلى كل المواطنين الأصحاء جسمياً وعقلياً، أما الذين تنقصهم سلامة الأجسام فيجب أن يتركوا للموت".

وهذا الكلام موافق لكلام سقراط وأتباعه الذين سموه " التدبير الذاتي للموت بشرف" ولذلك نجد سقراط سعى لتطبيق ذلك على نفسه وذلك عندما سعى طلابه وتلاميذه لتهيئة الوضع له لتهريب من السجن الذي سجن فيه، فرفض ذلك بل ولجأ إلى تناول السم لكي يموت بشرف.

وكان توماس مور في كتابه الوهم Wopie عام 1516م يرى أن القساوسة والقضاة حث التعساء على الموت وكان هذا نفس رأي نيتشه.³

وفي عام 1906 أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية مشروع قانون يجيز لكل مريض بمرض لا يرجى شفاؤه، أن يتقدم بطلب الاجتماع لجنة مكونة من أربعة أشخاص على الأقل لتقرير ما إذا كان من الملائم وضع حد لهذه الحياة أم لا، ولكن مجلس النواب والكونغرس رفض هذا المشروع.

¹ - سورة الأنعام، ص 151.

² - سورة النحل، الآية 59.

³ - نور الدين بن الخادمي: (قتل الرحمة) وإيقاف العلاج عن المريض البئوس منه برئة حكمه ومدركاته، الدورة الثنائية والعشرون للمجتمع الفقهي الإسلامي، المنعقدة في مكة في مكة المكرمة، د ت، ص ص 29.

وفي عام 1922 كانت روسيا أول دولة أوروبية تصدر قانونا لا يجرم ما يسمى بقتل الرحمة بناء على طلب المريض، ولكن لم يمض أشهر حتى ألغى هذا القانون.¹

ولم يقف الغرب عند اقتصار القتل الرحيم على أصحاب الأمراض العضوية الميؤوس من شفائها بل ازداد الأمر اتساعا وبعدها عندما أضيف إلى ذلك أنه من الممكن تطبيق القتل الرحيم على الذين يعانون من أمراض نفسية، واتسع الأمر حتى جاءت المطالبة بتطبيق القتل الرحيم على كل من يعاني ظروف معيشية وحياتية صعبة، ككبار السن الذين يعانون من أمراض متعددة، ولا يستطيعون مساعدة أنفسهم في قضاء حاجاتهم كالبول والغائط مما يكلف الأسرة عبئا وجهدا كبيرا، فلذا من حق الأسرة أن تطلب إنهاء حياته بما يسمى الموت الرحيم.²

أما في العالم العربي الإسلامي فلم تصل المشكلة لهذا الحد، لأن ديننا وتاريخنا وتراثنا الإسلامي يضع الإنسان موضع التقدير والاحترام.

3- صور القتل الرحيم:

أ-القتل الرحيم بطريقة فعالة: تكون بإعطاء المريض ما يسهل موته وينهي حياته بإعطائه حقنة بجرعة زائدة من مادة مخدرة تؤدي إلى موته وتسمى هذه الصورة بالطريقة الإيجابية التي يكون الطبيب فيها فاعلا ومباشرا لموت المريض.³

ب-قتل الرحمة بطريقة منفعة: تكون بالامتناع عن معالجة المريض، كالامتناع عن إعطائه الدواء، أو رفع أجهزة الإنعاش وتسمى هذه الصورة بالطريقة السلبية التي يكون الطبيب فيها سلبيا وممتنعا.

¹ - نور الدين بن الخادمي: قتل الرحمة (إيقاف العلاج عن المريض الميؤوس منه حكمه ومذكراته)، المرجع السابق، ص 50.

² - علي محي الدين القرة داغي، وعلي يوسف الحمدي: فقه القضايا الطبية المعاصرة (دراسة طبية فقهية مقارنة)، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 2000، ص 428.

³ - نور الدين بن مختار الخادمي: المرجع السابق، ص 09.

4-القتل الرحيم وأخلاقيات المهنة الطبية:

إن أخلاقيات المهنة الطبية تلزم الطبيب المعالج باحترام الحياة الإنسانية والشخصية للمريض في جميع الظروف وهو ما يشكل واجبا إنسانيا للطبيب حيث إن من أهم لوائح آداب مهنة الطب، ومن أول واجبات الطبيب وأهمها هو احترام الحياة الإنسانية والمحافظة عليها، وأن تحقيق آلام المرضى هدف جانبي يسعى إليه الطبيب ويجب أن لا ينسيه الهدف الأساسي وهو المحافظة على حياة المرضى الميؤوس من شفاؤهم¹.

ولذلك فإن معظم قوانين وأخلاقيات وآداب مهنة الطب تنص بشكل صريح بأنه لا يجوز للأطباء عمل ما يسمى بموت الرحمة أو الموت بقصد الشفقة لإنهاء معاناة المريض الميؤوس من شفاؤه، وتعتبر قتل عمد مع أن بعض المجالس الطبية الغربية أجازت القتل الرحيم.

وإن في إجازة القتل الرحيم نجد أن العالم في مواجهة خطر جسيم لا يقيم للإنسان احتراماً بمجرد أنه أصيب بمرض وأصبح غير قادر على العمل، فلهذا يرون أنه مادام غير قادر على الإنتاج والعمل ثم إن علاجه يكلف أهله وذويه ومجتمعه تكاليف باهظة، فإنه من حق الأهل والمجتمع والدولة التخلص من هذا الحمل الثقيل وهذه نظرة قاصرة ومادية وجشعة للإنسان وهي انه لا بقاء إلا للأقوى والأصلح².

¹ - مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كلية الطب: الطب الشرعي والسموميات، منظمة الصحة العالمية، 1993، ص 05.

² - المرجع نفسه، ص 10.

المبحث الخامس: زراعة الأعضاء:

1- تعريف العضو البشري:

-التعريف اللغوي: العضو بضم العين وكسرهما واحد الأعضاء: (كل عضو وافر بلحمه وهو كذلك جزء من جسد الإنسان كاليد والرجل والأنف).

يقال عضيت الشاة تعضية إذا جزأتها أعضاء وقد يطلق " عضو على الأطراف ".

التعريف الطبي والعلمي للعضو البشري: ومن الناحية الطبية هو عبارة عن مجموعة من الأنسجة تعمل مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة معينة وإذا كان العضو البشري مجموعة من الأنسجة فإن الأنسجة تعرف بأنها مجموعة من الخلايا التي تعمل مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة معينة.

التعريف الفقهي للعضو البشري: والمراد بالعضو هو مجموع الأجزاء من الجسم التي تقوم بوظيفة معينة في جسم الإنسان مثل: التنفس أو النطق، وآخر ذهب إلى القول بأنه ذلك الجزء المحدد من جسم الإنسان والذي ينهض بأداء وظيفة أو عدة وظائف محددة كالقلب والكبد والكلى.

ولقد عرف أيضا بأنه " أي جزء من أجزاء الإنسان سواء كان عضوا مستقلا كالكلى أو جزء من العضو كالقرنية أو الأنسجة".¹

2- مفهوم عمليات نقل وزراعة الأعضاء:

زراعة الأعضاء هي عبارة عن نقل عضو من جسم إلى آخر، أو نقل جزء من جسم إلى الجسم ذاته، بهدف استبدال العضو المريض والتالف بعضو سليم وجديد، وتعتبر جراحة زراعة الأعضاء من أكثر الجراحات تعقيدا في عالم الطب، ورغم ذلك فإن تقدما كبيرا حصل منذ بداية أول عملية زراعة في العالم 1905 لتوניה على يد الدكتور إدوارد زيرم، مروراً بعملية زراعة الكبد الناجحة الأولى التي أجراها توماس ستارزل عام 1967

¹ - إدريس عبد الجواد عبد الله: الأحكام الجنائية المتعلقة بعمليات زراعة الأعضاء البشرية بين الأحياء، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة للنشر، ليبيا، 2009، ص 41.

وصولاً إلى عمليات أكثر تعقيداً مثل زراعة الوجه بالكامل وغيرها¹ التي تجري في الوقت الحالي إضافة إلى تطورات تحصل كل يوم في عالم زراعة الأعضاء.

3- أهم مصادر زراعة الأعضاء :

حتى وإن كانت العمليات الجراحية غاية في الدقة وتكامل دوماً بالنجاح حيث تصل نسبة النجاح في زراعة الكلى إلى 97 بالمائة، فإن عمليات الزرع تتوقف على وجود متبرعين بالأعضاء، مما زاد على إقبال المرضى على هذه العمليات بحيث يضاف إلى قائمة الأمريكيين الذين ينتظرون عملية زرع اسم جديد كل 20 دقيقة، وتحذف 6 أسماء من القائمة كل 24 ساعة لوفاة أصحابها قبل إجراء العملية بسبب تعذر الحصول على عضو.²

فمعضلة الطب الخاص بزراعة الأعضاء تكمن في قلة الأعضاء مقارنة بالمرضى الذين هم في حاجة هذه الأعضاء، وعليه وجد الباحثين في المجال البيولوجي مصادر أخرى للتزود بالأعضاء مثل: استغلال الموتى دماغياً والأجنة من خلال خلاياها الجذعية.

أ- الأموات المتبرعين كمصدر للأعضاء:

بفضل التكنولوجيا المتطورة أصبح من الممكن تأجيل الموت لاستقطاع أعضاء من الجسد الميت أو في طور الموت، فحري بنا الآن أن نفهم ونهتم بمشكلة الموت لأن هذا الأخير يحمل في طياته الحياة التي يطلبها بعض المرضى من الجسد البشري الذي عدا خزاناً للأعضاء.³

ولقد اصطدمت هذه الفكرة بالعديد من الأصوات الراضية، كون لاستغلال أعضاء الأموات يمس بكرامة الإنسان خاصة في المجتمعات المسلمة، وجاء في المجتمع الفقهي الإسلامي للإفتاء: أن الذي يظهر رجحانه هو أن الأصل بالانتفاع بأعضاء الإنسان حياً أو ميتاً هو الحظر المنع لحماية الإنسان، وصوناً لكرامته وحفاظاً له مما يؤدي إلى المثلة والتصرف في أعضائه كقطع غيار، ولكن إذا دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك فإن نقل

¹ - بكر نور: الطب الخاص بزراعة الأعضاء (حوار خاص)، مجلة الجميلة، سبتمبر، الجزائر، 2011، ص 82.

² - ناهدة البقصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق، ص 10.

³ - سمية بيدوح: فلسفة الجسد، المرجع السابق، ص 38.

الأعضاء جائز إذا لم يترتب على نقلها ضرر بالمنقول منه إذا كان حياً، أو أن يتم ذلك بناءً على وصية، أو موافقة أهله إذا كان ميتاً، وأن لا يكون ذلك العضو من الأعضاء التناسلية أو العورات المغلطة وأن يتم ذلك عن طريق التبرع وليس عن طريق البيع¹.

إن العلماء يؤكدون على أن الموت العلمي الذي يحكم بموجبه موت الشخص هو موت جذع الدماغ وإن بقيت بعض الحياة في الأعضاء الأخرى، والسبب في ذلك أن الدماغ إذا توقف عن العمل لا يمكن تعويضه ولا إعادته إلى سالف وظيفته وموته مؤدي لا محالة إلى توقف عمل القلب والدورة الدموية والتنفس ولو بعد حين.

ويمكن في هذه الصورة الإبقاء على حياة بعض أعضاء الجسم بمساعدة أجهزة الإنعاش الصناعي حتى تضمن بذلك نجاح عملية زرع الأعضاء، أما في حالة بقاء القلب حي بعد موت الدماغ فإنها حياة اصطناعية وتوفرها أجهزة الإنعاش وتوفرها أجهزة الإنعاش سواء كانت آلة مساعدة على التنفس أو آلة كاشفة لجسده أخرى لسماع دقات قلبه أو مسيراً لأداء بعض العمليات².

إن نقص زراعة الأعضاء هو المعضلة التي تسيطر على طب زراعة الأعضاء، وهذا ما دفع بالأطباء الأمريكيين للتخلي عن معارضتهم بيع الأعضاء، ووزعت المؤسسة الوطنية الأمريكية لأمراض الكلى على 2000 عائلة من مختلف الولايات المتحدة أوراق استفتاء تحتوي على سؤال لم يكن يخطر ببال أحد، هذا السؤال هو: هل توافق على قبول تعريض مادي مقابل تبرعك ببعض من أعضاء جسمك للغير؟³ فالنقص الفادح في توفر الأعضاء البشرية المخصصة لزرع جعل البعض من منعدمي الضمير يلجئون إلى استغلال الفقراء، بعرض المال عليهم مقابل أعضائهم، حتى بلغت بهم الجرأة على اختطاف الناس بهدف نزع أعضائهم وقتلهم.

¹ - علي محي الدين القره داغي، وعلي يوسف الحمدي: فقه القضايا الطبية المعاصرة (دراسة طبية فقهية مقارنة)، المرجع السابق، ص 494-495.

² - سمية بيدوح: فلسفة الجسد، المرجع السابق، ص 41.

³ - ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، المرجع السابق، ص 10.

ب-الإيثار كمصدر للأعضاء:

بتطور التكنولوجيا في مجال الطب أصبح من الأكيد البحث عن كيفية إيجاد الحلول لمن هم في حاجة ماسة للحياة، ولمن هم في حاجة لترسيخ مفهوم التعاون بين البشر حتى يتمكن الطرف الآخر الذي هو عضو من الجسد الكبير ألا وهو المجتمع من مواصلة حياته وتكامل ذلك عناصر القوى البدنية المتمثلة في تبادل الأعضاء، إن هذا المفهوم يفضي إلى مفهوم اقترن به وهو الرحمة بالإضافة إلى مفهوم الإيثار، وهو أن نريد الخير لغيرنا ، وأن نقدمه على أنفسنا¹ خاصة وإن كان التبرع بالعضو لا يشكل أي خطر على حياة المتبرع.

الطبيب وإن كان يحمل رسالة نبيلة غرضها مصلحة المريض فوق كل اعتبار، فإن الطابع المادي الذي جعل من البشر سلع تباع وتشترى في الأسواق السوداء، أخرج مهنتهم من الطابع الأخلاقي الحميد إلى علم لا يضاهيه وحشية في التشكيل بالبشر.

¹ - سمية بيدوخ: فلسفة الجسد، المرجع السابق، ص 41.

خلاصة:

يمكننا ان نخلص في اخر هذا الفصل أن الهندسة الوراثية تشتمل على اغلب الابحاث السابقة ، وتبقى مسألة الاجهاض و بداية قدسية حياة الجنين العامل المشترك الاكبر الذي ينتقل بين الابحاث البيوطبية في صيغ متعددة، فتطبق عليه نفس شروط الموت باعتباره إنسانا وموته بموت جذع المخ وهو المعمول به كدليل على انتهاء الحياة بالنسبة للموت السريري. كما يحمل الجنين في أطواره الأولى الأمل الكبير للمرضى الذين يحتاجون إلى زراعة أعضاء، فعلى غرار المشكلات الأخلاقية التي تثيرها تقنية زراعة الأعضاء لما لأعضاء الكائن البشري من حرمة يحفظها الدين والقانون الوضعي والقواعد الأخلاقية، نجد أنفسنا أمام مشاكل أخلاقية تتعلق بالاجهاض مرة أخرى لما تحتويه خلايا الجنين من قدرة كبيرة على إصلاح الأجزاء التالفة للأعضاء البشرية.

ثم الهندسة الوراثية، وتقنياتها التي تعتمد الاستنساخ ومنا لحق هذه التقنية من أخذ ورد حول جوازها ومنعها والكلام عن هذه التقنيات لا يخلو من الكلام عن حرمة الجنين، حيث تعتمد الهندسة الوراثية في تصنيعها للعلاجات الجينية "خلايا المنشأ الجنينية"، لذا رافقت مشكلة الاجهاض أغلب المباحث السابقة.



موقف فلسفة الأخلاق من التطور التكنولوجي

المبحث الأول: المرجعية الكانطية

المبحث الثاني: موقف هابرماس من

التطور التكنولوجي

المبحث الثالث: موقف فراسوا داغوني

من التطور التكنولوجي

تمهيد:

تتدخل الفلسفة لإيجاد الحلول الأخلاقية التي تراها ملائمة للبشرية، فتجمع بين العلم والفلسفة والقانون بحيث كل منها الآخر في طابع أخلاقي ومن يسعى الفلاسفة والمفكرين إلى تحديد الأسس الأخلاقية وفقاً لمصادر معينة، كما أن الوضع الذي آلت إليه البشرية من جراء التقدم العلمي والتقني للعلوم التجريبية عامة والبيولوجية خاصة، باعتبار أبحاثها أكثر التصاقاً بعضوية الإنسان وكيانه البيولوجي كجزء لا يتجزأ من الطبيعة، يطرح مشكلة تهديد النوع الإنساني بالزوال والفناء، وهذا ما ذهب بالنفاس البيواتيقي ليمس كل أقطار العالم.

المبحث الأول: المرجعية الكانطية

تقوم الأخلاق الكانطية على ثلاثة مبادئ أساسية، الاستقلالية الفردية، كرامة الإنسان، والحيرة، وتؤسس كرامة الإنسان إنطلاقاً من طبيعة ذاتها التي تعبر عن كائن روحي متجسد عقلائي وحر كما يراه كانط، ويستخلص كانط نتيجة من رؤيته هذه للإنسان مفادها أن الإنسان والحال هذه فإنه لا يمكن تقييمه بثمن من جهة، كما لا يمكن اعتباره كمجرد وسيلة بل هو غاية في حد ذاته ومن جهة أخرى، وكنتيجه لهذا فإن أي متاجرة بالجسم الإنساني غير مقبولة أخلاقياً¹.

وتستمد النظرية الإيتيقية الكانطية أهميتها من البعد اللامشروط والالزامي الذي يعبر عنها.

وقد وجهت انتقادات عدة للفلسفة الكانطية عموماً، وللايتيقا الكانطية خاصة مفادها أن فكرة الاستقلالية الفردية التي تقوم عليها ما هي إلا استقلالية شكلية خالية من كل مصمون، وبالتالي فهي لا تعبر في أغلب الأحيان إلا عن حريات فردية غير محددة وعن رغبات ذاتية تعسفية لا تربطها أية علاقة بالواقع العام².

وكنتيجه لهذا فإن مبدأ الاستقلالية لا يمكن تطبيقه في الواقع على الحالات الواقعية التي في المجال البيوتقي، لكن وبالرغم من هذه الانتقادات فإن الإيتيقا الكانطية بما تقوم عليه من مبادئ فلسفية جوهرية بالنسبة للإنسان قد أثرت ومازالت تؤثر حتى وإن كان ذلك بطريقة شكلية على الإيتيقا المعاصرة.

1- الكرامة الإنسانية:

إن مفهوم الكرامة الإنسانية الذي كثيراً ما تتم الاحالة إليه في الفكر البيوتقي ويلزم أن نشير في البداية إلى أن مفهوم الكرامة الإنسانية مفهوم ديني في الاصل، انتزعه كانط من التربية الدينية المسيحية الصيقة ونقله إلى رحاب العقل الواسعة مثلما فعل بغيره من المفاهيم الأخلاقية، ولا تنحصر دلالة المفهوم عند كانط في الجانب الأخلاقي، بل يعتبره من الحقوق الطبيعية للإنسان³.

¹ - مختار عربي: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص 209.

² - المرجع نفسه، ص 211.

³ - الداوي عبد الرزاق: حوار العلم والفلسفة والأخلاق في مطالع الألفية الثالثة، شركة المدارس النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 61.

ففي المجال البيوتيقي، يدل مبدأ الكرامة الإنسانية بالإسناد على أن حق الإنسان الأول هو أ يعترف به كإنسان، وألا يعامل العلم الذات الإنسانية كـ (شيء) وينتج عن ذلك أن الكرامة الإنسانية تقتضي احترام الفرد في خصوصيته وهويته الوراثية والثقافية، وينعكس ذلك على المستوى القانوني بفكرة مفادها أن الغير يجب أن ينظر إليه ويحترم من جانبين:

أولاً: أنه مختلف ويجب احترام اختلافه، وثانياً: أنه يمثل الذات الإنسانية "كل إنسان هو إنسان"¹.

ومما سبق يتبين أن كرامة الإنسان التي طالما نادى كانط بضرورة صيانتها، أصبحت مهددة حسب علماء الأخلاقيات والمهتمين بقضايا ومشاكل التكنولوجيا الحيوية، سواء في ميدان الطب عن طريق تقنيات الإنجاب الحديثة وزرع الأعضاء، أو في ميدان الطب، أو في ميدان الهندسة الوراثية².

ويرجع رفض تقنية التعديل الوراثي الجنسي إلى تعارضها مع حقوق الإنسان على رأسها "حق الشرية في التنوع البيولوجي"، وكذا كرامة الإنسان التي تقتضي عدم التعامل معها كما نتعامل مع النباتات والحيوانات التي نقوم بعمليات التعديلات والانتقاء من مخزونها الوراثي بناء على رغبتنا وصالحنا وحاجتنا.

2- مبدأ الحرية:

أما المفهوم الثاني هو مفهوم الحرية الذي يستعمله كانط بالجمع في كثير من الأحيان فهي ليست حرية واحدة بل حريات ونجد، كانط، في رسالة جوابية شهيرة له حول التنوير يربط الحرية بالتنوير، بالمعنى الذي تدل فيه على قدرة الإنسان على اتخاذ القرار وخروجه من حالة العجز والقصور والحجر إلى حالة العزم والبادرة، والجرأة على استخدام العقل دون اعتماد أي توجيه أو وصاية خارجية، وسنجد هذا المعنى حاضراً أيضاً بقوة في الأدبيات البيوتيقية، وخاصة في التأكيد على ضرورة الاستقلال الذاتي للمرض ورفض كل الأشكال الوصاية الأبوية للطبيب³.

¹ - محمد الصباحي: فلسفة الحق كانط ورهانات الفلسفة المعاصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1970، ص 233.

² - المرجع نفسه، ص 234.

³ - محمد الصباحي: فلسفة الحق، كانط ورهانات الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 234.

وفي هذا الإطار نجد أن البيوتيقا تعتبر في نظر الفيلسوف الألماني المعاصر هانز يونس **Hans Jonas** الذي تمثله القدرات الحديثة والمتطورة باستمرار التي تمتلكها التكنولوجيا الحيوية خاصة منها تقنيات الهندسة الوراثية، وقد ذهب بعيدا حين أعلن في كتابه "حول مبدأ المسؤولية" ورفضه لأي استعمال لهذه الوسائل والتقنيات الحديثة التي تؤكد تهديدها للوجود الإنساني قائلا: "إن بروميثيوس الذي نجح في التخلص من قيوده بشكل نهائي، قد منحه العلم قوى وقدرات جبارة لا عهد له بها، وإلى جانبها إغراءات اقتصادية لا حد لها ويستدعي ذلك فكرا أخلاقيا جديدا، يقوم على قواعد متفق عليها، وذلك منع قدرات الإنسان الجديدة من أن تصبح وابلًا عليه"¹.

فبالمقابل يرى كانط أنه لا يمكن فصل حق الإنسان في الحياة عن حق الحرية وما يرتبط بها من حق الإنسان في تقرير المصير وحرية الاختيار في المجال البيوتيقي تتمثل في حرية الاختيار بين الاستمرار في الحياة أو التخلص منها، وحرية اختيار الخسوع للعلاج أو الامتناع عنه، فحرية الفرد محدودة بحرية الآخرين، كما هو معلوم ولكن بالإضافة إلى ذلك هي محدودة أيضا باعتبارها حقا من حقوق الإنسان، بحق آخر يتقدم عليها هو الحق الجود والحياة.

وهنا تعتبر مسألة "الإجهاض" من إبراز القضايا التي يتجلى فيها هذا النقاش الأخلاقي فإذا كانت المرأة الحامل تعتقد بغض النظر عن تصورهما للحمل باعتباره وظيفة نسوية مقدسة أو عبئا ثقيلا يجب علاجه، أن من حقها الاحتفاظ بجنينها أو التخلص منه فإن من حق الجنين أيضا، ومن باب أولي، أن يوجد ويعيش ولا يمكن أن ننسى المجتمع الذي يختار بدوره إما حظر الإجهاض أو إباحته أو تقييده، لذلك حسب وضعه الديمغرافي، أو حسب تصريحه لحق الحياة أو لحق حرية الاختيار أو حسب قناعاته الأخلاقية والدينية².

وعلى هذا وبناء على المبدأ التالكانطي الذي يعتبر أن الإنسان يلزم أن نتعامل معه كغاية وليس أبدا كوسيلة أو شيء، والذي ينطلق منه المهتمون بالأخلاقيات الطب والبيولوجيا، ليس من حقه أن يتصرف في جسمه كما يريد، فإذا كان من حقه أن يبيع جهده وعمله وبعض عناصر جسمه التي لا تسبب له أي ضرر ويمكن تعويضها، فإنه في المقابل ليس من حقه أن يبيع أي جزء من جسمه يمكن أن يلحق به ضرر أو يستحيل تعويضه.

¹ - محمد الصباحي: فلسفة الحق كانط ورهانات الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 137.

² - مختار عريب: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، المرجع السابق، ص 239.

المبحث الثاني: موقف هابرماس من التطور التكنولوجي

حاول هابرماس تأسيس فلسفة أخلاقية عملية معاصرة انطلاقاً من جذور كانطية مثالية بإحلالها في المجتمع الواحد الذي عرف أفولاً للأخلاق في ظل المشروع المعيارية في المجتمعات الرأسمالية المتطورة الما بعد تقليدية.

يشطر هابرماس فعاليات الإنسان إلى موجّهات نحو الطبيعية، وموجّهات أخرى نحو العالم الاجتماعي وموجه أخير نحو الذات، وفي تشخيصه لعطب الفعل الأخلاقي وانحرافه نجده يحذر من اختراق الفعل الوجه (العقل الأداتي) للحياة اليومية ومنظوماتها الأخلاقية والفهمية، وبذلك فتحول مساره نحو عالم المجتمع والمعاش سيحول العقل الإنساني إلى استراتيجي تفعي فيعكس على ممارسات اقتصادية وسياسية وعملية — خبرائية تحط من قيمة الإنسان وكرامته وكيونته بالنتيجة¹. يقول هابرماس Hebermas إن التطورات التقنية الجديدة تتبع عامة تنظيمات جديدة والحال أن التنظيمات المعيارية قد تطابقت، حتى الآن من التقلبات الاجتماعية والتحوّلات الاجتماعية، الي كانت في المقدمة، كانت تلك التابعة للابتكارات التكنولوجية في مجالات الانتاج والتبادل والاتصالات والنقل في المجالين العسكري والصحي².

يرى هابرماس إن الاشكاليات التي تنبع من هذا التدخل تمس ثلاثية حقوقية عالمية ترفضه وتجعله مستهجنًا هي:

— الحرية.

— المساواة.

— الكرامة.

فهناك خرق واضح لهذه المبادئ الثلاثة، فالحرية تتوقف عند تدخل الماضي بما ستكون عليه أفعال الأفراد في المستقبل فاختيارات الأباء لتعديلات معينة على أبنائهم، لن تكون عندئذ إلا قدرا

¹ — سمير بالكيف: الفلسفة الاخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراءات، مشورات ضفاف، ط1، 2014، ص 485.

² — المرجع نفسه، ص 489.

جديدا بفرص ذاته على الأجيال القادمة لهذا فباسم الحرية، يقول هابرماس: " ينبغي أن تناهض حرية التحسين الجيني"¹.

وينطلق هابر ماس في خطاب الحداثة من العديد من المرجعيات الكانطية، حيث يعتمد على أعمال هوربت ماركيز التي وظفها في مشروعه الفلسفي الذي خص في الكثير من مؤلفاته نقد كل أشكال الاستقطاب التقني.

فهابرماس يرى بأن العلم في سياق العقلانية التقنية تجاربه إرادة القوة على منوال نيتشه، وهو أمر يتطلب الوضعانية والتيارات المعجبة بالعلم والنزعة التقنية فهاته جميعا متنوعة للإيديولوجيا المكونة للحداثة التقنية، وينتقد بذلك هوربت ماركيز وماكس فيبر وينطلق من العقلنة إذ يعتقد أن العقلانية التي دعى إليها ماكس فيبر تضرر السيطرة وهنا يصل إلى "ربما كان مفهوم العقل التقني ذاته إيديولوجيا وليس استخدام التقنية، إنما التقنية ذاتها سيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان سيطرة منهجية علمية محسوبة وحاسبة وليست الاهداف المتعينة للسيطرة ومصالحها ذاتها لاحقة وتلمي إرادتها من خارج التقنية بل تدخل في تكوين الآلة التقنية ذاته ... مثل هذا الهدف من السيطرة وينتمي إلى حد ما إلى صورة العقل التقني ذاته"².

وهنا يؤكد هابرماس أن العقلنة المتزايدة للمجتمع تتم بموازات مع عملية صبغة المؤسسة على التقدم العلمي والتقني وهنا يسير هابرماس على خطى ماركيز الذي ينتقد الطابع الصوري للمعقولية في صبغة ماكس فيبر³.

ويذهب هابرماس إلى التشريع لنوع آخر من الطبقة لأن هابرماس جعل من العلم قوة إنتاج ذات شأن في المجتمع المتقدم أي أن توجيه الفعل السياسي للتقنية يتم بغرض إخضاع الآخر والسيطرة عليه وهو الذي يعقد من سلطة التقنية وهذا فيه إخفاء غير مباشر على شرعية السياسية القائمة للتقنية فكثيرا من المؤسسات السياسية العلمية التقنية تعمل لأغراض مصلحة وذلك ما يذكرنا بقول الإمام علي : (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم)، وإذا كان ذلك بنوع من

¹ - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية (نحو نسالة ليبرالية)، المرجع السابق، ص 34.

² - يورغن هابرماس: العلم والتقنية كأديولوجيا، تر: حسن الصقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط2002، ص45.

³ - المرجع نفسه، ص47.

التربية فالبايولوجيا التقنية أو البيوتيقا إلى تلاعب قسري وسابق وغير مرافق في تحديد ملامح الفعل الإنساني للإنسان المعدل والمتلاعب به.

كما أن التعديل الوراثي يخترق المساواة ويحولها إلى نوع من التفاوت فنحن عندما نستهلك الأجنة ونعدل فيها سننتهي حتما وبالضرورة إلى خلق ترتيبات في الكائن الإنساني¹.

لأن الشخص المعدل بايولوجيا لن يكون على قدم المساواة مع الشخص الطبيعي.

ويعد التلاعب بجينوم الأفراد الذين لم يولدو بعد إنتهاكا لكرامة الإنسان فهذا التلاعب لا يترك مجال حرية الإرادة والقبول والرفض وستجعله تلك الممارسة شيئا لا يحمل صفة الإنسانية لأنه يتحول معها إلى موضوع طبيعي يحمل في طياته الإكراه والامتهان من الآخرين الذين سبقوه بسبب إمكانية التلاعب والسيطرة عليه وبلا وعي منه لما يحصل من تعديل في قيمه وتحديد سلوكيته وذلك مرفوض².

ولأن الكرامة الإنسانية تتأسس على حق الإنسان وهذا ما ينتفي مع التقنية الجينية لأن الطفل لن تكون كرامته إلا ككرامة الآلة التي نعدل فيها ونحدد حاجياتنا منها.

ويراهن هابرماس على أنه: "بمجرد أن يعرف الإنسان جينومه الشخصي قد تمت برمجته لما هو عامل يؤدي إلى اضطراب الوضوح الذي بموجبه نوجد نحن بوصفنا جسدا، على ما نحن عليه،... ومن هذا الحدث سيولد نمط جديد من العلاقات اللا متوازية بشكل فريد بين الأشخاص"³.

ففي ظل الأزمة الناجمة عن التطور التقني يؤكد هابرماس على ضرورة وجود حس مشترك بين جميع أفراد النوع البشري بغاية الحفاظ على الهوية الإنسانية للإنسان.

حيث يعتبر هابرماس الفلسفة مؤهلة أكثر من غيرها لكي تدرس أثر هذه التداعيات وتقدم من باب الإحاطة المعرفية وصفا دقيقا وتحليلا لهذه التقنية المتسارعة يقول هابرماس "وبالتالي فإنه ليس من أسباب الوجيهة تجعل الفلاسفة يتخلون عن موضوع أخلاقي كهذا لعلماء في البيولوجيا أو المهندسين لأغراض العلم الوهمي"⁴.

¹ - عادل حدجامي: مسألة التحسين الجيني في الفلسفة الألمانية، سلوتردايك ضد هابرماس، ضمن كتاب البيوتيقا، دار البترا للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2010، ص 101.

² - المرجع نفسه، ص102.

³ - يوغرن هابرماس: مستقبل الطبيعة الانسانية (نحو نسالة ليبرالية)، المرجع السابق، ص55.

⁴ - المرجع نفسه، ص34.

لذلك يطالب هابرماس بوقف التدخلات في الجينات الإنسانية فهو يقول "إنها مشاعر بالدوار تشبه ما نشعر به حين تنزاح أرض نضنها ثابتة من تحت أقدامنا"¹.

ذلك لأن تغير الخصائص الوراثية وتحسينها تغير في النية العامة وينتج عنه تغير في التجربة الأخلاقية.

وتحليل هابرماس للأداتية والتشيؤ بوجهيهما التقني الذي يضلّل الإنسان ويخدعه بغية السيطرة والتسلط عليه يقتضي حسب هابرماس البحث عن مخرج لهذه الأزمة وما المخرج إلا بالوازع الأخلاقي والنظر إلى المصلحة المتوخاة من فعل تقنية إتجاه الإنسان وأثرها عليه².

وإذا كنا اليوم مازلنا نشعر بالتقزز من ممارسات التشيؤ هذه، ونتساءل عن ما إذا كنا نريد أن نحي في مجتمع بشري بإعتباره نرجسيا بضمن تضحياته و عدم إحساسه بالقواعد المعيارية والطبيعية للحياة إرضاءا لرغباته الخاصة³.

وما يمكن قوله هو أن هابرماس رحب بجميع تقنيات العلاج الوراثي بحيث ألا نتعدى حاجز الأداتية بأن نجعل الفرد الموضوع للبرمجة ويقدم كقربان لهذه التقنية فالإنسان مكرم لذاته.

¹ - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الانسانية (نحو نسالة لبرالية)، المرجع السابق، ص52.

² - مجموعة مؤلفين: البيوتيقا والمهمة الفلسفية، المرجع السابق، ص231.

³ - المرجع نفسه: ص243.

المبحث الثالث: موقف فرانسوا داغوني من التطور التكنولوجي

من بين الفلاسفة الذين شاركوا في النقاش الفلسفي حول المشكلات التي تثيرها التطبيقات العلمية، بشكل عام والتقنيات الطبية بشكل خاص، الأبستمولوجي داغوني، الذي يعتقد بأن الحل لهذا المشكل لا يخص الأخلاقيين ولا المشرعين الحقوقيين ولا حتى البيولوجيا الطبية نفسها، حيث يقول "إننا نعتقد بالفعل أن في استطاعة الفيلسوف بل ينبغي عليه أن يأخذ هذا الدور حتى يمزق هذه الذرائع، ويعيد النظر في نتائج هذه التطبيقات"¹.

يبدو أن كل المواقف أتت لكي تؤكد من جديد قيمة الإنسان وبالتالي تحكم على التقنية بشكل عام والتقنيات بشكل خاص على أنها تمس بالكرامة الإنسانية ولا تحترم أبعاد الإنسان.

يقدم الفيلسوف انتقادين للمسائل الأساسية التي تقدمها البيوتيقا فيما يخص بعض النقاط، بحيث يرى أن ما تحسبه البيوتيقا مسائل جديدة هو في الحقيقة كان مطروحا في تاريخ العلوم الطبية البيولوجية، وفي هذه الحالة لو حددنا مشروعية البيوتيقا بمسألة التجريب الطب، لأمكن القول هنا أن الأمر يتعلق بمشكلة قديمة. الدليل أن الفيلسوف داغوني في حد ذاته كان يهتم بمسألة التجريب الطبي قبل ظهور مصطلح البيوتيقا سنة 1960، من مقال (امن مقال التجريب الطبي العلاجي) لأن التجريب على الإنسان في نظره يوضع دائما في إطار التطبيقات العلاجية بما في ذلك حتى الصعوبات التي تحول دون فجاعتها².

وبهذا تكون المفاهيم مثل احترام الحياة والاسرار الطبية، قد تم علاجها منذ أم بعيد وهذا ما يبرز عدم فعالية مبدأ احترام الحياة الذي كان واضحا قبل ظهور البيولوجيا الجديدة.

وينتهي داغوني إلى الاعتقاد أنه من السذاجة القول بإمكانية إلغاء أو القضاء على المخاطر الطبية بشكل تام، فالذي يساهم في البحث العلمي خاصة البيولوجي لا يمكنه تجنبه بشكل مطلق النتائج كالتأثيرات المتأخر وغير المنتظرة، التي لا تمنهاها وبالتالي يعتقد بأننا نعلم أنه عاجلا أم أجلا نتعدى

¹ - رشيد دحلوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عن جورج كانغيليم، أطروحة دكتورا في العلوم والفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006، ص 20.

² - محمد جديدي: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القديمة، محاضرات أقيمت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، والمنعقد بالمكتبة الوطنية الجزائر العاصمة، يومي 25/26 أفريل/ 2007،

الحدود، وعليه إقامة حاجز يمنع هذه المشاريع الخطيرة، كما يدعوا إلى إعادة إقامة فلسفة البيولوجيا، في صميم البيولوجيا نفسها¹. هذه الدعوة تثبت من دون شك تأكيد الفيلسوف على وضع إطار أخلاقي منظم للبحوث البيولوجية والمتمثل في فلسفة البيولوجيا، ويكون بذلك قد وضع مفهوما جديدا "للبيوطيقا".

ويرى داغوني أن الفلسفة اليوم غير واضحة وتعاني أكثر في مجال الطب والبيولوجيا وفي هذا الصدد يعطي مثالا لبيان هذه الصعوبة بطرحه لهذا السؤال: لماذا نلجأ إلى الإجهاض؟ الإجهاض عملية قتل، قتل الجنين، الطبيب يبرز ذلك إما بقوله أن الجنين محكوم عليه بالموت بعد الولادة.

ومهمة الفيلسوف الذي يتوقف عليه المستقبل يقول داغوني "يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية، فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا المعاصرة"². وقد أظهر داغوني نوع من الاشتمزاز اتجاه البيواتيقا، وينظر إلى الهيئات التي تهتم بها، على أنها لا تهدف إلى وضع حلول عامة طالما أنها لا تستطيع أن تصل إلى اتفاق هذا ما نجده على مستوى CCNE * المؤسسة سنة 1983م، والتي تجمع ممثلين عن فلاسفة وروحانيين، من وجهة أخرى المعنى الذي اتخذته البيوطيقا في نظر هذه الهيئات ولذا نجد الفيلسوف يميز بين البيوطيقا الرديئة، أهدافها ايدولوجية والبيوطيقا ذات الأساس أو الجوهر العلمي.

وبالنسبة لداغوني، فالعقد الاجتماعي لا يمكن ان يكون بين الجماعة والشيوع والعائلات فيما يخص القضايا الحساسة، وهي قضايا البيواتيقا، بل على الدولة التي تمثل الجميع، محاربة الأهواء والميول لشخصية والمصالح الخاصة³.

وتعتبر هذه الفكرة عن دعوة الفيلسوف داغوني إلى تدخل الدولة التي تحرص على تنفيذ كل الاحكام والقرارات المتعلقة بالبيواتيقا، أو ما يسمى بإقامة سياسة بيولوجية Biopolitique.

¹ - رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغليهم، المرجع السابق، ص 69.

² - إريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 140، اوت، 1983، ص 16.

* - الهيئة الاستشارية الوطنية للبيوطيقا CCNE comite consultatif nationale d'éthique

³ - رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم الطبية عند جورج كانغليهم، المرجع السابق، ص 116.

هي فكرة اشار إليها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984) سنة 1976 في كتابه تاريخ الجنس Histoire de la sexualte أين يضع توجيه الحياة وتنظيمها، في صميم السياسة العصرية الغربية يقول ميشال فوكو "لأول مرة في التاريخ من دون شك يفكر البيولوجي في إطار سياسي".

حيث يعتقد داغوني أنه علينا أن لا نتعجل بمحاكمة البيولوجي، لأن الحياة الاجتماعية لم تنشأ من ممارسة الاستغلال وتحويل الإنسان من طرف الإنسان يقول في هذا الصدد "إن الحياة الاجتماعية تعلمنا عدم احترام الحياة"¹. وهذه إشارة إلى مسؤولية المجتمع في كل ما يحدث من تجاوزات في مجال البحوث العلمية.

ويسجل داغوني ثلاث حدود للتدخل التقني في الكائن الحي، وعدم تجاوزها:

1- علينا أن نحافظ على تنوعه.

2- أخذ بالاعتبار تركيبه وتعقيده.

3- انقاذ الإنسانية.

فداغوني يرى أنه من الأجدر أن نترك للحياة ما هو مهم من حريتها، لأن التحكم فيها باستمرار يؤدي إلى تفقيها والتقليل من قيمة الإنسان في الوقت نفسه، ويعتقد داغوني أن هناك ثلاث بحوث جارية اليوم غير مقبولة أخلاقيا وهي:

1- الاستنساخ: يعارضه الفيلسوف لأنه يهدف إلى الإبقاء على النوع كما هو، وذلك كلما تم استنساخه، وهو يؤدي إلى تفكير الكائن الحي المحكوم عليه بالإعادة فقط، فبهذه الطريقة نحبس ونوقف الكائن الحي.

و تحسين النوع الإنساني Eugénisme* بالنسبة للفيلسوف داغوني هذا خطأ إن لم يكن رعبا، إننا لا نعلم أي إنسان ننتظر ولك لعدم الثبوت لأن هذه العملية في نظره تهدف إلى الانتخاب وهو أمر مرفوض أخلاقيا².

¹ - رشيد دحلوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغليهم، المرجع السابق، ص 120.

* Eugénisme- الهدف من هذه التقنية- تقنيات التحكم في الولادة- هو تحسين الجنس البشري

² - محمد جديدي: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القديمة، المرجع السابق، ص 30.

ولا ننكر بأن هذا الإجراء قد يكون قد قام به أفلاطون من قبل، واعتبره حلاً ووسيلة لربط القوي بالضعيف وإلا تعرضت الدولة للذوبان فحين يتجمع الضعفاء فهم لا يلدون إلا ذوي الورع الملتزمون. وحين يتزوج الأقوياء فيما بينه فهم لا يلدون إلا العجم، وهذا يقتضي شيئاً من التوجيه والترويض والتحكم في كل منهما¹.

2- الزواج فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي (امراتان): وهذه من التقنيات التي تهدف إلى تحقيق المصلحة الشخصية مثل ولادة الأطفال، وتتم العملية عن طريق أخذ بويضة من كلا الزوجتين ثم يتم التلقيح أحدهما بالأخرى ثم توضعان في رحم أحدهن حتى يتم الحمل للطفلين في الوقت نفسه، أجريت هذه العملية على الفئران سنة 1977م، يرى الفيلسوف داغوني هنا دخل لعملية الإخصاب، لأننا من جهة لا نولد إلا الإناث التي تعرفن إلا أمهاتهن. ومن جهة أخرى الحد من امكانية التنوع وهو أحد معطيات الحيات الانسانية والـ<كي نخضنه في هذه الحالة للمصلحة الشخصية².

إن هذه المحاولات الثلاث غير مقبولة تماماً فهي تعيق الحياة وتضرب في نفس الوقت الفرد والمجتمع. وفي الأخير نستخلص أن فلسفة داغوني تستند على الاعتقاد أن الإنسان سيد الحياة فهو يدعوا إلى التوجيه العقلاني للتقنيات الطبية حتى ينقص من درجة التشاؤم والمعارضة لها، وبهذا يرفض أن تكون البيوتيقا عائقاً في وجه التطور التقني الطبي والبيولوجي من خلال وضع تصور جديد واقعي لها، بعيداً عن كل الاعتبارات العرقية.

و لابد من أن نؤكد على أن للفلسفة والفلاسفة دور كبير في بسط نفوذ التقنية التي كان سببها العلم فالعلم هو سلاح ذو حدين حد خير وحد شر لابد من القضاء على الحد الثاني عن طريق رؤية فلسفية. فقد اختلفت رؤية كل فيلسوف عن آخر لكن الاتفاق هو إعادة الاعتبار للإنسان أمام منهجيته وغروره الذي اصطدم به فكان هو من جراء العلوم رغم أنه هناك من لا يحملها خطر ذلك لكن هاته الرؤية غير صائبة.

¹ - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار هندواي للنشر، القاهرة، مصر، 2012، ص 117.

² - محمد جديدي: البيوتيقا وروايات الفلسفة القديمة، المرجع السابق، ص 31.

فالتقنية ابداع علمي بحث وكلما وجه العلم نحو غايات أخلاقية كان الاستعمال العقلاني للتقنية. وذلك لمحاولة ضبط تحركات العلم وضرورة حماية الإنسان واحترام قد سببته.

خلاصة:

ما نخلص إليه من خلال ما تضمنه الفصل، أن الحداثة الغربية كصورة لفعل العلم والتقنية، أوقعت الانسانية في أزمة حقيقية تكمن هذه الازمة في أزمة الاسس الاخلاقية، هذا لما للتقنية البيولوجية من آثار غيرت حتى هوية الانسان من الكائن ذو الكرامة إلى شيء لا يناله من القداسة غير القيمة المالية التي تنجر عن جسده إذ أصبح سلعة تتحكم فيها اقتصاديات السوق، وهذا راجع للنمط الذي تقدمه الليبرالية في القوالب العلمية، وما زاد من حدة الطرح الاخلاقي على مستوى علم الحياة هو توسع النزعات المادية على حساب القيم الروحية والاخلاقية، وهو ما دفع بالمفكرين والفلاسفة بالنظر في القوانين التي يتم من خلالها التشريع لما يحفظ الكرامة البشرية، وإعادة صياغة مناهج جديدة يمكنها ان تحتوي العلوم بهدف تخليص العلم من نرجسيته وتمسكه بمقاليد العلم في العصر الحديث، كل هذا في كنف الاخلاق.

الاخلاق التي حركت شعوب العالم، على الرغم من اختلاف عقائدهم وأيديولوجياتهم وهو ما يستدعي ضرورة الاخلاق الكونية، الاخلاق التي لا تعرف، لا ثبات لا طوباوية في الطرح. كما جاءت محاولات فلسفية كإحيائية للموروث الفلسفي والديني القديمين، ونظرا للطابع الأحادي الذي يعرفه العلم وعلى وجه الخصوص البيولوجيا وجب تكوين رؤية تكاملية للمعرفة المستقاة من الطبيعة.

كما ما ذكرناه عن القيم الاخلاقية التي يدعو إليها الدين الاسلامي، سيكون انسب كونه المنهج الذي يجمع بين العلم المادي وما هو روحي.



خاتمة

خاتمة

وفي الأخير بعد عرضنا لهذا الموضوع نصل إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في:

- من خلال دراستنا للفلسفة عبر العصور وعلاقتها بالعلم وفي الفلسفات القديمة نجد أنها تشترك في فكرة رئيسية وهي إحترام وإجلال الطبيعة التي تفقد الإنسان قيمته وفي هذه الحالة تعتبر مسألة القطيعة مع الفلسفة القديمة بشكل عام أمر قد تم تجاوزه بشكل سريع حول فكريتي:

-الأولى: أصبح الإنسان سيد الطبيعة بينما كان عبد لها.

-الثانية: تحول الفلسفة إلى العلم.

ونظرا إلى إهتمامها بالواقع والإبتعاد عن الميتافيزيقي نجد أن المرحلة المعاصرة هي التي تجلت فيها وظيفة الفلسفة.

- مع تطرقنا للمجال البيولوجي فقد أحدث العلماء ثورة بيولوجية فاقت الآمال والتحديات إلى درجة أنه بإمكان الإنسان أن يعرف كل المعلومات حول طاقمه الوراثي لكن هذه الثورات البيولوجية آثارت جملة من المشاكل الأخلاقية إستتفر منها الفلاسفة وإستهجنو هذه التقنيات وطالبو بتوقيفها وإعداد الإنسان ليتكيف ويحمي نفسه منها.

- إن مهمة الفيلسوف اليوم تتمثل في صنع نوع من التفكير حول العلوم حيث أصبح القرن الحالي يعرف بقرن الأخلاق العملية، فرصتها طبيعة المشكلات التي يواجهها الإنسان في حياته ولذلك فأن الفلسفة قادرة على وضع نظريات أخلاقية ذات طابع تطبيقي وكل هذا يدخل ضمن النظرة الجديدة إلى علاقة العلم والفلسفة.

- أن توجيه الفلسفة للعلم ضرورة في ضل الرهان التقني لأن مهمة الفلسفة في الفترة المعاصرة تعنى بوضع الإنسانية التي باتت في وضع حرج وأن الإنسان المعاصر بات يشعر أن السيطرة على الذات والإنتصار عليها أصبح يبعث مخاوف كثيرة خاصة في المجال البيوتقي التي تعبر عن حاجة الطب والبيولوجيا إلى منظومة فكرية وأخلاقية تراقب مساره ونتائجه

- مما إستدعى ذلك عن طريق كل من فلاسفة الحق أمثال كانط الذي كان له المرجعية الأولى لتأسيس القواعد الأخلاقية والفيلسوف الألماني هابرماس وكذا الفرنسي فرانسوا داغوني إلى تركيز موقفهم من التقنية الذي إستدعى العودة إلى الأخلاق من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان وقديسيته.

فالرؤى الفلسفية الاخلاقية التي ذكرناها ماهي الا محاولات جاءت بهدف حفظ كرامة الانسان و اعادة الانسانية له و لتجاوز الازمة التي وقعت فيها الاخلاق بسبب التطور التقني في الميدان العلمي البيولوجي ، وهذا محور فلسفة اخلاق الحياة ، اذ تحاول المزاوجة بين العلم و الاخلاق في أشكال عدة منها :

الديني و الفلسفي العقلاني و الطبيعي ، فعلى الرغم من تعدد المصادر فإن الغاية واحدة وهي حفظ الكرامة الانسانية ، و عليه وجب إعادة النظر في مسببات الازمة ، ثم العمل على تجاوزها ، فمن خلال هذا نجد أن ازمة القيم الاخلاقية هي ازمة أسس معرفية حيث اصبحت الغاية من العلم هي تحقيق طموحات الانسان ، ومن جهة أخرى كان العلم وسيلة لتحقيق الاهداف و أن تنازل الانسان عما يسمى بالغيب او الوحي ، فأصبحت الحياة مادية حسية ، واول معلم من معالم الازمة في الحداثة الغربية هي الثورة العقلية على مختلف الانماط السائدة في العصور الوسطى

- كما أن استحالة تفسير الواقع الانساني كلية اعتمادا على التفسير المادي فقط ، أي تفويض تلك الاسس الكلية الاولى التي انبنى عليها الاصل المعرفي في الفلسفة القديمة و الحديثة .

- كما ان وجوب العودة الى تأمل العلم وتفحص منهجه و غايته ، هذا الذي يقودنا الى السؤال الاخلاقي الذي يبحث عن مرجعية قيمية حتى تعود للانسان إنسانيته.

- وفي الأخير نرجو من الله عز وجل التوفيق في هذا العمل المتواضع مقارنة مع الحجم الهائل من المعلومات التي تزخر بها التقنية قد وقفنا في الوصول إلى بعض أهداف الدراسة وليعذرنا القارئ على النقائص التي تكتنف الموضوع على إعتبار أن الموضوع معاصر ومازال قيد الدراسة.



قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

السنة النبوية

المراجع بالعربية:

- 1- أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، ط3، المكتبة العصرية، 1997.
- 2- أرنست ماير: هذا هو علم البيولوجيا، تر: عفيفي محمود عفيفي، عالم المعرفة، الكويت، 2002.
- 3- الداوي عبد الرزاق: حوار العلم والفلسفة والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2004.
- 4- العمري حربوش: مقال بعنوان من البيوتيقا biotique إلى البيوسياسية biopolitique، صمن كتاب جماعي، البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البيولوجية ورهانات التقنية)، منشورات ضفاف، لبنان، 2014.
- 5- إيريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر، تر: سعد زهران، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 140، أوت 1989.
- 6- جان شارل سورنيا: تاريخ الطب، تر: إبراهيم البجلاقي، عالم المعرفة، الكويت، 1993.
- 7- دافيد لوبرتون: أونثروبولوجيا الجسد والحداثة، تر: محمد عرب صاصيلا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997.
- 8- ديكارت: تأملات ميتافيزيقية، تر: كمال يوسف الحاج، سرائ للنشر، 2009.
- 9- هدى قشقوش: القتل بدافع الرحمة، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 2002.
- 10- وليام ستانسفيلد: الوراثة، تر: علي زين العابدين عبد السلام وفتح عبد التواب، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993.
- 11- يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، ط1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2002.
- 12- يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، (نحو نسالة ليبرالية)، تر: جورج كاتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 2006.
- 13- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2012.

- 14- يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصورها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
 - 15- مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كلية الطب: الطب الشرعي والسموميات، منظمة الصحة العالمية، 1993.
 - 16- محمد الصباحي: فلسفة الحق، كانط والفلسفة المعاصرة، كليات الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1970.
 - 17- محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001.
 - 18- محمد صالح المحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، الدار العربية للعلوم، د/ت، د/م.
 - 19- مجدي الكيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، (دراسة مصرية)، الإسكندرية، 2009.
 - 20- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ط1، دار قيا للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.
 - 21- ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1993.
 - 22- نبالي مليكة: البيولوجيا الجزيئية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 2009.
 - 23- سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، 1984.
 - 24- سعيد مراد، المدخل في تاريخ الأديان، مصر، ط1، 2002.
 - 25- سمية بيدوح، فلسفة الجسد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2009.
 - 26- سمير بلكفيف: من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراءات، ط1، منشورات ضفاف، 2001.
 - 27- سفيان عمران: مقال بعنوان صورة الإنسان في الثورة البيولوجية المعاصرة. ضمن كتاب جماعي: البيوتيقا والمهمة الفلسفية (أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية)، منشورات ضفاف، لبنان، 2014.
 - 28- عادل حدجامي: مسألة التحسين الجيني في الفلسفة الألمانية، سلوتردايك ضد هابرماس، ضمن كتاب البيوتيقا (مجموعة مؤلفين)، ط1، دار ألتر للنشر والتوزيع، سوريا، 2010.
 - 29- علي هاشم ومحى صلاح: المفصل في فلسفة التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
 - 30- فؤاد زكريا: التفكير العلمي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2012.
 - 31- صلاح مصطفى الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
 - 32- رجاء بن سلامة (مجموعة مؤلفين): البيوتيقا، دار البترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010.
 - 33- رياض أحمد عودة: الاستنساخ في ميزان الإسلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
- المجلات والدوريات

- 1- إدريس عبد الجواد عبدالله: الأحكام الجنائية لعمليات زراعة الأعضاء البشرية بين الأحياء، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة للنشر، ليبيا 2009.
- 2- بكر نور: الطب الخاص بزراعة الأعضاء، (حوار خاص)، مجلة الجميلة، سبتمبر 2011.
- 3- محمد أحمد رواشدة: عقوبة الإعتداء على الجنين بالإجهاض، (دراسة فقهية موازية)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، 2007.
- 4- محمد جديدي: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القديمة، محاضرة أقيمت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة المنعقد بالمكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة، يومي 25، 26 أفريل 2007.
- 5- محمد عبد الوهاب الخولي: المسؤولية الجنائية للأطباء عن إستخدام الاساليب المستخدمة في الطب والجراحة، دراسة مقارنة، ط1، 1997.
- 6- نورالدين بن مختار الخادمي : (قتل الرحمة) وإيقاف العلاج عن المريض الميؤوس من برأه، حكمه ومدركاته، الدورة الثانية والعشرون للمجتمع الفقهي الإسلامي المنعقدة في مكة المكرمة،
- 7- علي محي الدين القرة داغي وعلي يوسف المحمدي: فقه القضايا الطبية المعاصرة، (دراسة طبية فقهية مقارنة)، ط2، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.
- 8- فريدة زوزو: الإجهاض، (دراسة فقهية مقاصدية)، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، 2002.
- 9- خالد الزعيري: الخلية الجذعية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008.
- 10- رشيد دحدوح: تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغيلهم، أطروحة دكتوراه، العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

المراجع باللغة الاجنبية:

1-Roperto Ondorno: La Biothique Et la Dignité De La
Personne, éd, Pi, F, 1997, Paris.

المعاجم

- 1- المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
- 2- مجمع اللغة العربية: معجم البايولوجيا (في علوم الأحياء والزراعة)، ج1، الهيئة العامة لشؤون المطابع، الاميرة.
- 3- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.



فہرس المحتویات

الصفحة	الموضوع
	الاهداء
	شكر وعرفان
أب	مقدمة
	الفصل الأول: علاقة العلم بفلسفة القيم عبر العصور
04	المبحث الأول : القيم و العلم في الحضارات القديمة
04	1- الحضارة الفارسية
05	2- الحضارة المصرية
07	3- الحضارة اليونانية
08	المبحث الثاني: القيم و العلم في العصور الوسطى
08	1- عند المسلمين
09	2- عند المسيحيين
11	المبحث الثالث: القيم و العلم في العصر الحديث
11	1- المنهج التجريبي
13	2- الجسد البشري
15	المبحث الرابع: القيم و العلم في الفترة المعاصرة
15	1- العلم والتكنولوجيا
16	2- العلم والاخلاق
	الفصل الثاني: المشاكل الاخلاقية للتطور التكنولوجي
20	المبحث الأول: الثورة البيولوجية
21	1- مراحل الثورة البيولوجية
23	2- الوراثة
25	3- البيوتيقا
25	المبحث الثاني: الهندسة الوراثية
25	1- الاستنساخ و أنواعه

27	أ- انواع التكاثر.....
29	ب- تعريف الاستساخ.....
31	ج- انواع الاستساخ.....
31	2-سليبات الهندسة الوراثية.....
33	المبحث الثالث: الاجهاض
35	1-تعريف الجنين ومراحله.....
37	2-الاجهاض وانواعه.....
37	3-الحكم العام للاجهاض
37	المبحث الرابع: القتل الرحيم
37	1-مفهومه.....
37	2-لمحة تاريخية عن نشأة القتل الرحيم
39	3-صور القتل الرحيم
41	المبحث الخامس: زراعة الاعضاء.....
41	1-تعريف العضو البشري.....
41	2-مفهوم عمليات نقل و زراعة الاعضاء
42	3-أهم مصادر زراعة الاعضاء.....
	الفصل الثالث: موقف فلسفة الاخلاق من التطور التكنولوجي.....
48	المبحث الاول: المرجعية الكانطية
48	1-الكرامة الانسانية
49	2-مبدأ الحرية
51	المبحث الثاني: موقف هابرماس من التطور التكنولوجي.....
55	المبحث الثالث: موقف فرانسوا داغوني من التطور التكنولوجي
61	خاتمة
64	قائمة المصادر والمراجع
68	فهرس الموضوعات